٥٠
٣٧٤٢

بديع السموات والارض تنبيها على سعة مخلوقاته وعظيم بديع مصنوعاته
فتتردد ذكر الذاكر في سعة رحمته وبديع صنعته وبديع بمعنى مبدع
اي مبدع السموات والارض اي مخترعهما وموجدهما من غير سبق
مثال ولا مادة وارتفاع بديع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو
مبدعهما انى كيف يكون له ولد والحال انه لم تكن له صاحبة
اي زوجة يكون منها الولد وخلق كل شيء من شانه ان يخلق
وهو بكل شيء كاينا ما كان مخلوقا او غير مخلوق عليم لا يخفى عليه
خافية مما كان او يكون من الذوات والصفات والاحوال التي منها
ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز فان قيل هل لتفريق الآيات
القرانية وترتيبها على خلاف نظم المصحف وجه قلنا اعلم ان
الشيخ رضي الله عنه على بصيرة ربانية تقتضي بان سر حزبه
في ترتيبه على هذا الوجه وان خالف ترتيب نظم القران ويشهد له بالجملة
ما روي عن بلال رضي الله عنه انه مر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يقرا اية من هذه السورة واية من هذه فساله عليه السلام عن ذلك
فقال اخلط الطيب بالطيب فقال له عليه السلام كما في بعض الروايات
قد احسنت وذلك مما يصلح شاهدا لصنيع الشيخ رضي الله عنه وفي
نوادر البرزلي قال قد رايت احاديث في الرقا والحفظ من الغوايل
تقتضي جواز قراة القران مفرقا وكذا جل احزاب الشيخ العارف
الولي ابي الحسن الشاذلي وقد اكثر منها في حزبه الكبير المشهور
انتهى ثم لما وصف نفسه تعالى بصفات الكمال وتنزهها عن سمات
النقص التي هي في حقه تعالى محال قال ذلكم اشارة الى الموصوف

بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار مترادفة ويجوز كون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا وخبر
لا لمحذوف تقديره موجود او في الوجود ومعنى الكلام ذلكم الاله
الجامع لهذه الصفات فاعبدوه اي وحدوه والفا للسببية فالعبا
مسببة عن مضمون الجملة قبلها بمعنى ان من استجمع هذه دة
الصفات كان جديرا بان يُعبد وهو مع هذه الصفات على كل شيء
وكيل حفيظ متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته
في انجاح ماربكم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار اي لا
به وهو يحيط بها علما ورؤية والفرق بين الرؤية والادراك كما للبعض ان تحيط
الادراك يتضمن الاحاطة بالشيء والوصول الى غايته فلذلك نفى ان
تدركه الابصار ولا يقتضي ذلك نفي الرؤية وحسن على ذلك هذا
قوله وهو يدرك الابصار لاحاطة علمه تعالى بالخفيات والابصار
بفتح الهمزة جمع بصر وهو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة
النظر فتدرك المبصرات به وترى ان كانت قابلة لذلك وهو اللطيف
الخفي عن ادراك الابصار او العالم بالخفيات او المتفضل بايصال
المرافق والمنافع من ابواب بعيدة عن العقول والاوهام وكل صحيح
ومرجعه لصفة سلبية على الاول او للعلم على الثاني او لصفة فعل
على الثالث ومن علم انه الخفي عن الادراك عظمه على قدر تمكن ذلك
من قلبه ومن علم انه العالم بالخفيات يحذر ان يطلع عليه فيما هو
فيه ويثق به في علمه بحاله ومن علم انه المتفضل بايصال ما ذكر
يلتجئ اليه ولا يعول في اموره الا عليه الخبير العليم بدقائق الامور وبوا طنها

او بمعنى

او بمعنى المخبر او المختبر ومن عرف انه الخبير اكتفى بعلمه ورجع لما
عنده ونسي ذكر غيره بذكره وقدم اللطيف لعموم دلالته اذ فيه
الخبرة وزيادة والعلم اذا نسب الى الاشياء الباطنة يسمى خبرة تنبيه
ما بين الاية الاولى والثانية يحسن للذاكر تلاوته فيصل الا بتبين
ويدخل ذلك كله في حزبه ثم اتى ببعض من اسماء الله تعالى
الحسنى مدلولا عليها بفواتح بعض السور القرانية فقال الر
كهيعص حمعسق اختلف في سائر حروف الهجا اوائل السور وهي المص والر
والمر وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وص وحم وعسق وق
ون فقيل هي من المتشابه فلا تفسر قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر القران فواتح السور وعن علي
رضي الله عنه في كل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف
التهجي وقيل هي اسماء لله للسور وقيل اسما لله وقيل اشياء
اقسم الله بها لشرفها من حيث انها اصول اللغات التي في كتبه
المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل انها حروف مقطعة
من كلمات فالالف من الله واللام من لطيف والراء من رؤف
رحيم والكاف من كاف والها من هاد والياء من حكيم
والعين من عالم والصاد من صادق والحاء من حليم والميم
من مجيد والسين من سابق والقاف من قاض على ان المعنى
انا الله اللطيف الرحمن الكافي الهادي العليم الصادق وقيل
انها اشارة الى صفات الافعال فالالف احسانه واللام لطفه
والراء رحمته والكاف كفايته وكفالته والهاء هدايته والياء

ولانه والعين عنايته والصاد صدقه وحم حمايته والسين سلامته
والقاف قدمه وكل ذلك ظاهر من قصص سورة مريم الا ترى
انه كفى زكريا الموالي من ورائه اي الذين يلونه في النسب كبني
العم ومن ورائه اي بعد موته وخافهم على الدين ان يضيعوه
كما شاهده في بني اسرائيل من تبديل الدين من ورائه وهداه لدعائه
وشكره في حاله باعترافه بعجزه عما اولاه من اصلاح زوجه واتيانه
ولدا مع ضعفه واظهر عنايته عليه وعلى زوجه وولده فيما تولاهم
به ثم فعل ذلك بمريم وولدها وابراهيم وولديه وموسى
واخيه وما من به على ادريس ونوح وغيرهم من الانبياء
وعلى هذا فذكر الشيخ لها لانه تعويض بطلب الكفاية والهداية
والولاية والعناية وتحقيق الوعد في الاجابة وصدقه والحماية
والسلامة والقيام في الامور وكما يستدل بالاسم على الذات
كذلك يستدل بكل حرف من حروف الاسم على حقيقة من حقائق
الذات ووصف من اوصافها ذاتي او فعلي ولا يقتصر في دلالة الحرف
على صفة واحدة من الصفات بل كل صفة كانت مفتتحة بذلك
الحرف دل عليها ذلك الحرف وقاعدة ذلك ان كل اسم مدح فكل
حرف من حروفه يدل على صفة شريفة وكل اسم ذم فكل
حرف منه يدل على صفة مذمومة وذلك من سر تعليم
الله آدم الاسما كلها ونطقه بها بجميع اللغات فكل اسم فهو
دال على ما وضع له بكله وبعضه وفي القوت عن علي يا كهيعص
اعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم او تغير النعم

اوتهتك

اوتهتك العصم او تحبس غيث السماء او تنزل الاعداء [١] انصرنا
على من ظلمنا وهذا مما يشير الى كونها اسماء لله يستغاث بها
وعن سيدي ابي عبد الله بن سلطان احد اصحاب الشيخ الشاذلي
رضي الله عنهم اجمعين انه راى في نومه كانه اختلف مع بعض
الفقها في تفسير قوله تعالى كهيعص حمعسق قال فقلت هي
اسرار بين الله تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم
وكانه قال كاف انت كهف الوجود الذي ياوي اليه كل موجود
انت كل الوجود ها هنالك الملك وهنالك الملكوت
يا عين الجود ص مصدقي انت من يطع الرسول فقد اطاع
الله حاجبناك بم ملكناك عين علمناك سين سارزناك
قاف قربناك قال فنازعوني في ذلك ولم يقبلوا مني فقلت
نسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ليفصل بيننا فسرنا
فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا الذي
قاله محمد ابن سلطان هو الحق انتهى وهذا يشير الى انها
صفات افعال هذا ومما قيل في ختم ترجمة حمعسق بالقاف
انه سبحانه وتعالى لما بسط رحمته وذكر ملكه وعظمته
وسيادته وتقديسه طمحت القلوب في الامن من مكره
فذكرهم قهره ليذكروا سطوته لتحصل لهم حالة بين الخوف والرجاء
وتسمى الاشفاق وجلت الاحرف الاخرى مفتتحة بالكاف
الدالة على الكفالة والكفاية والكرم ليعلمك ان ارزاق العباد
مضمونة وانهم عياله وانه من مقتضى كرمه درت عليهم

(١) صح: الأمن، محرر

الارزاق وبالهاء الدالة على اسم الهادي اشارة الى انه يهدي من
عباده من يشاء ثم ختم بالصاد الدالة على صدقه في انفاذه
ما اقتضاه من وعيده ووعده هذا ومع احتمال ان الشيخ رضي
الله عنه لم يقصد فواتح السور وانما جرى في كلامه ما وافق
نظم القرآن قال بعضهم معرفة الحروف والاسماء من خصا بعض
علوم الانبياء من حيث كونهم اولياء ولذلك تقع المشاركة
في العلم بها بين الاولياء والانبياء وهي من علوم الكشف
فلا فايدة في التصرف فيها والكلام عليها بضاعة العقل
ولكن كل ولي يفهم على حسب ما فتح له ولذلك يتفاوت
فيها اهلها ويقع الاختلاف بينهم فيما يشيرون اليه فيها تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض على انه يترجح هنا قصد فواتح
السور بقوله في بعض احزابه بحرمة السبعين والثمانية
واسرارها ثم قال اكفني هم السبعين والثمانية فان هذا العدد
هو عدد حروف فواتح السور كما اوضحه الشيخ ابو زيد الفاسي
الهاما من الله تعالى وفي تفسير الورتجي الحروف المقطعة رموز
معاني سور القرآن لا يعلم تلك الرموز الا الربانيون انتهى ويرد
عليه انه قد ورد رمز واحد في سور متعددة مختلفة المعاني
نحو الر وحم ونحو ذلك ويجاب بان الرمز كالمشترك بين معان
وقال الشيخ داود بن باخلا رضي الله عنه في شرح حزب البحر
اعلم ان كل سورة من القرآن لاسيما السورة المفضلة كالبقرة
وال عمران ويس والسجدة وتبارك وغيرها لها انوار وحقايق

يشاهدها

يشاهدها الاولياء تحيط بركتها وانوارها بالمومنين ولكل سورة
خصوصية خصها الله بها وانا من حفظه وبركته وربما
ياتي عذاب من فوقه فيكون نور يس وقاية له من فوقه
وربما احاط به فيكون تبارك ما نعا له وربما قصده عدو بسوء
وضر فكفاه الله تعالى بكهيعص وحماه بحمعسق وقد اعلم
الله تعالى ان العذاب مواجه للعباد من فوقهم ومن تحت
ارجلهم لولا رحمته والقرآن رحمته كما قال تعالى هدى ورحمة
تنبيه اخرت القاف من حمعسق لان رحمة الله سبقت
غضبه وقدمت الحاء الدالة على الرحمة والحلم على القاف الدالة
على القهر تنبيه ثان قدم المص حمعسق على كهيعص وان
كانت في ترتيب المصحف هي اقرب لا لغرض لم تناسبه وهي
ان الحواميم متعددة كالطواسيم وهما مترادفان لان للمص
قصد تقارب الحروف الدالة على الرحمة فان قيل لم خص
الرد دون الم قلت لان الميم من حم كافية في ذلك ولم
تكن الرا في حم فاتى بها لتتم اصول الرحمة تنبيه ثالث
ايها الذاكر اذا ذكرت رحمة مولاك بمقتضى اوايل هذه
الاحرف وكرمه وكفالته وصدقه باواسطها واواخرها
فغلب على ظنك نيل المراد واستحضر قوله صلى الله
عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي في حكايته عن ربه
تعالى فانه مما يذهب كربك ويشرح صدرك وقلبك
ويذكرك ربك فايدة يقال انه من عقد اصابعه

بقوله كهيعص حمعسق فجعل كل حرف مقابلة اصبع ثم دخل
على من يخافه ونشر اصابعه في مجلسه وجعل بمقابله سواراه
او لم يره كانت له حصنا وقبولا عظيما وان اضاف اليها
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم كان سرا عجيبا ثم جلب
لاستتمام التبرك ايات منها قوله رب احكم بيني وبين مكذبي
بالحق بالعذاب لهم والنصر عليهم فعذبوا ببدر واحد والا حزاب
وخيبر والخندق ونصر عليهم وربنا الرحمن كثير الرحمة
لخلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون
من كذبكم على الله في قولكم اتخذ ولدا وعلى في قولكم ساحر
وعلى القرآن في قولكم سحر ومنها قوله تعالى طه لما
ورد من فضائل سورة طه وانها مما يقرا في الجنة واختلف
في معنى هذا اللفظ فقيل هو اسم من اسماء محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل
معناه يا رجل كما قيل ان معنى يس يا انسان وقيل انه
من الحروف المقطعة اوايل السور وان الطاء من طاهر
والهاء من هادي وان التقدير يا طاهر يا هادي وقيل طا امر
من الوطئ والها ضمير الارض فامر صلى الله عليه وسلم
بان يطاء الارض بقدميه ويعتمد عليهما في صلاته ولا يتعب
نفسه بالوقوف والاعتماد على قدم واحدة كما كان صلى
الله عليه وسلم يفعل ذلك في تهجده فقد روي الربيع ابن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى قام

على

على رجل واحدة ورفع الاخرى فانزل الله الاية ويدل لهذا قوله
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي لتتعب نفسك بكثرة
التهجد وطول القيام فيه والشقا شاع استعماله بمعنى
التعب ومنه سيد القوم اشقاهم ولعل العدول عن التعبير
بالتعب الذي هو اوضح لاجل الاشعار والتلويح بانه انما انزله
عليه ليسعد وقد كان صلى الله عليه وسلم ياخذ بالجد
والاجتهاد في الطاعة والعبادة فاذا قيل له في ذلك قال
افلا اكون عبدا شكورا وكان الشيخ رضي الله عنه يشير
بذكر هذه الاية التي تفيد التنبيه على بذل الجهد في طاعة
الرب وانفاق النفس في عبادته الى انه اذا كان المغفور له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر يقول اخذ ببذل نفسي
في خدمة ربي فالواجب على من هو على خطر في عمله ان يبذل
نفسه في ذلك لكي يكون ذلك مصلحا لما افسد وسببا لغفران
ما قدم من كباير زلله وقبايح عمله والمراد من الاية نفي جميع
الشفاعة صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة لانه
انزل عليه القرآن الذي هو سبب للسعادة الا تذكرة اي لكن
انزلناه عليك تذكيرا لمن يخشى ونصبه على الاستثناء المنقطع
ويصح ان يكون بدلا من موضع لتشقى اذ هو في موضع المفعول له
من اجله ويصح ان ينصب بفعل مضمر اي انزلناه تذكرة
لمن يخشى اي لمن في قلبه خشية ورقة يحث يتاثر بالانذار
والتذكير والتخويف او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف

فانه المنتفع به والمعنى انت يا محمد امام اهل الخشية وسيدهم
فانزلنا عليك القرآن تذكرة لك، ليسكن به قلبك، وتذهب به
وحشتك، فان المحب يانس بكتاب حبيبه وكلامه تنزيلا
مصدر بدل من اللفظ بفعله الناصب له والتقدير انزل ممن
اى من اله تام القدرة خلق الارض والسموات العلى جمع
علياككبرى وكبر وهو مع ما بعده الى قوله الاسماء الحسنى
تفخيم لشان المنزل تعرض بتفخيم المنزل بذكر افعاله وصفاته
على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات
التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس
وافردت الارض في الذكر لانه لا ينتفع الا بواحدة منها وهي التي
نحن عليها بخلاف السموات فينتفع بجميعها لتنزل الملائكة
والارزاق منها والاستضاءة والاهتداء بالكواكب المتفرقة
فيها وغير ذلك وانزال القرآن على الرسول بواسطة الملك
والملك يتلقى ذلك من اللوح المحفوظ بواسطة مطالعة
الكتابة فيه او من الله تعالى بحيث يتلقفه ويتفهمه تفهما
روحانيا بان يخلق الله فيه علما ضروريا فان الذي يكلمه
هو الله تعالى وان الذي يسمع منه صوتا مشتملا على
تلك الحروف التي هي الفاظ القرآن ويخلق الله فيه علما
ضروريا لفهم معانيها والمراد منها الرحمن خبر مبتدأ محذوف
اى هو اي الذي خلق الارض والسموات هو الرحمن على العرش
هو في اللغة سرير الملك والمراد به هنا الجسم النوراني

المحيط

هو كلامه والرسول يتلقى
ذلك من الملك بحيث يسمع
منه صوتا صح

المحيط بجميع العالم سمي عرشا لارتفاعه او تشبيها بسرير الملك
استوى استواء يليق بعلى تجلاله او استوى امره او استولى
بالملك والقدرة وفي كلام بعضهم ان لفظ الاستواء مشترك
بين تسعة معان الاول ان يكون بمعنى العلو في المكان وبعد
المسافة في الارتفاع كاستواء الشمس في كبد السماء وهي د ن
اى قصد واردا الثالث ان يكون بمعنى القهر ومنه قد استوى
بشر العراق من غير سيف ودم الرابع ان يكون بمعنى
الاستقرار كقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على
الفلك اى استقررت الخامس ان يكون بمعنى ارتفاع
المكانة والجلالة كقوله تعالى على العرش استوى اي علي عليه
علو من هو فوقه في تقدم الوجود وان كان العرش فوق
المخلوقات في الوجود والعلو والله سبحانه اعلى منه في الو صف
وعلو المكانة السادس ان يكون بمعنى نفي الاعوجاج كقو
الحرب استوى المنصل اذا استقام ولم يكن فيه اعوجاج
السابع ان يكون بمعنى الاستيلاء والمغالبة كقولهم استوى
زيد على منازعة خصمه اذا غلبه اقتهارا ومنازعة الثامن ان
يكون بمعنى ارتفاع استعداده وتمام خلقه كقوله تعالى ولما
بلغ اشده واستوى التاسع ان يكون بمعنى التساوي
من قولهم استوى الماء والخشبة فاذا عرض اللبيب هذه
المعاني على نور بصيرته لاح وظهر له منها ما ينبغي ان يقول
في هذه الاية ويفسرها به فاذا عرفت هذه المعاني للاستوا

الثاني ان يكون بمعنى القصد
كقوله تعالى ثم استوى الى السماء
ي

ظهر لك اختلاف العلماء فيه على عشرة اقوال احدها قال الشيخ
ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ان الله مستويا ونفى
عنه كل استوا يوجب حدوثه بعد وكلامه يفهم ان الكلام م
في الاستوا على التفصيل لا يجوز وانه مشكل لا يعلم تاويله
على التفصيل الا الله تعالى الثاني قول الاستاذ ابي اسحاق ف
ان الله خلق خلقا وسماه استوى وجعل محله العرش
الثالث قول الشيباني والجنيد الاستواء اظهار الايات وقال
الجنيد ايضا حين سئل عن الاستواء يفعل ربنا ما يشاء
الرابع انه بمعنى العلو بالعظمة والعزة وان صفاته
تعالى ارفع من صفات العرش على جلاله قدره وهو
قول ابي جعفر الشيباني وابي منصور رحمهما الله تعالى
الخامس بمعنى الاستواء قهر العرش قال ابو المعالي قهر
الله العرش على عظمته وارتفاعه واتساع جرمه السادس س
قول الطبراني وابي يزيد وعبد الوهاب وجماعة من اهل
الحديث والفقه انه تعالى مستو عليه بذاته واطلقوا
في بعض الاماكن انه فوق عرشه من غير تحديد ولا تمكن في مكان
ولا كون فيه ولا مماسة السابع قول القدرية انه قدر على العرش
والفرق بين هذا وبين قول ابي المعالي ان قول ابي المعالي يحصل
منه صفة فعل وهي القهر ويخرج من قول القدرية انه صفة
ذات وهي القدرة الثامن قول المجسمة وهو قول بالحلول بمعنى
الاستقرار الكائن في المكان تعالى الله عن قول المبطلين علوا كبيرا

التاسع قول من يلتفت اليه ايضا ان المراد بالعرش الملك ويخرج
منه ان معناه ان الله سبحانه وتعالى غالب قاهر العاشر ان قوله له
على فعل ماض والعرش فاعله فهو بالرفع في قراءة والجملة خبر
الرحمن وال عوض عن الضمير اي الرحمن علي عرشه وجملة استوى
حال من العرش اي ارتفع ولم تتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى
الاستوا بل امسكوا عنه ولذلك قال مالك السوال عنه بدعة
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما من جميع المخلوقات
وما تحت الثرى التراب الندي والمراد الارضون السبع لانها
تحته وقد دل ذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة
تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك ببيان احاطة
علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على السواء فقال وان
تجهر بالقول في ذكر او دعاء فان الله غني عن الجهر به فانه
يعلم السر واخفى اي والاخفى منه اي ما حدثت به النفس وما
يخطر بها وقيل السر ما في نفوس البشر والاخفى ما انفرد الله
بعلمه اي واذا كان كذلك فلا تجهد نفسك بالجهر وفي الاية تنبيه
للذاكر ان يجعل سره مطابقا لجهره خشية ان يكون لسانه
يتضرع وقلبه مخالف للسانه فيعلم ان الله تعالى مطلع على خفي
باطنه الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى التسعة والتسعون
الوارد بها الحديث والحسنى مصدر وصف به او تانيث احسن
وحسن اسماء الله تعالى من حيث انها دالة على احسن المعاني
من صفات المدح والتعظيم والتمجيد وهي توقيفية ما ورد منها

في الكتاب او السنة يجوز اطلاقه على الله اجماعا واما ما لم يرد وفيه
مدح ولا يتعلق به شبهة فاجاز اطلاقه ابو بكر ابن العربي ومنعه
الاشعري وغيره ذهابا الى انه لا يطلق عليه تعالى الا ما ورد
في القرآن او الحديث وقد وقع في كتاب الترمذي عدتها اعني تعيين
التسعة والتسعين الواردة واختلف المحدثون هل تلك الاسما
المعدودة فيه مرفوعة او موقوفة على ابي هريرة وانما الوارد
في الصحيح عددها من غير تعيين فائدة قال السيوطي ورد
انه عليه السلام قال رايت حمزة وجعفر بن ابي طالب في المنام
فقلت لهما ما وجدتما افضل الاعمال قالا قول لا اله الا الله
قلت ثم ما قالا الصلاة عليك قلت ثم ما قالا حب ابي بكر
وعمر ويكرر قارئ الحزب قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
ثلاث مرات وانما كرر هذا الذكر ثلاثا كغيره مما يأتي لما علم
ان سنة الدعاء والتعوذ والذكر والرقى ونحوها ان تكون ثلاثا
ثلاثا والله اعلم وبعد ان اتى الشيخ رضي الله عنه بهذه
الآيات التي قدمها ثناء على الله ووسيلة لمقصوده من الدعاء
بدا بما يناسب الحال مما يدل على انكسار قلب الداعي واحتياجه
الى الاعتذار عما صدر منه من المعاصي فقال اللهم اي يا الله
والميم ليست باصل في الكلمة بل زيدت عوضا من حرف النداء فلذلك
لا تجامعه ولا يوصف الاسم معها لانه لما كان لا يستعمل الا
في النداء خاصة اشبه الاصوات التي لا تكون الا في النداء وكذلك
جميع الاسماء التي لا تقع الا في النداء لا توصف ولا تؤكد وقيل

ثم

انما زيدت فيه الميم للتفخيم والتعظيم وهذا غير خارج عما قبله لانه لا يمتنع
ان تكون للتفخيم مع كونها عوضا من حرف الندا وقد جاء في التفسير
ما يؤيده روي عن الحسن البصري انه قال اللهم مجمع الدعا وقال
ابو رجاء العطاردي الميم في قولك اللهم فيها تسعة وتسعون
اسما من اسماء الله تعالى وقال النضر بن شميل من قال اللهم
فقد دعاه بجميع اسمائه وقال البطليوسي ومعنى هذا ان الميم
في كلام العرب تكون من علامات الجمع الا ترى انك تقول عليه
للواحد وعليهم للجمع فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدا لة
على الجمع في قولك ضربوا وقاموا فلما كانت كذلك زيدت في آخر
اسم الله تعالى لتشعر وتؤذن بان هذا الاسم قد اجتمعت فيه
اسماء الله تعالى كلها فاذا قال الداعي اللهم فكانه قال الله الذي
له الاسماء الحسنى ولذلك فتحت الميم لتكون بازاء الفتحة في قولك
مسلمون وصالحون وشددت لتكون بالتشديد معادلة للحرفين
المزيدين في مسلمون وصالحون وقال سيبويه انما شددت
لتكون بمنزلة حرف الندا المحذوف وعوضا منه ولاجل
استغراقها ايضا لجميع اسماء الله تعالى وصفاته لا يجوز
ان توصف لان الصفات كلها قد اجتمعت فيه واعلم ان ما ذ كوره
من استغراقها لجميع الاسماء والصفات هو زيادة على ما تقرر
ان اسم الجلالة اسم للذات باعتبار اتصاف الذات بجميع الصفات
الواجبة لا مجردا عن هذا الاعتبار فتفيد الميم المشددة تاكيد
لمفاد لفظ الجلالة وتنصيص عليه فلفظ اللهم حقيق ان يتوجه

لما صح

به في الدعا تضمنه من عظم الثناء انك تعلم اني بالجهالة معروف ف
هو توطئة للعذر في ارتكاب القبائح اي ما حملني على ما ارتكبته
من السوء الا ما علمت من جهالتي المودية الى ذلك والجهالة
مطلق المخالفة وان كان مرتكبها عالما بكونها حراما والجهل قال
الراغب ثلاثة اضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو
الاصل وقد جعله بعض المتكلمين معنى مقتضيا للافعال
الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا للافعال الجارية
على النظام الثاني اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه الثالث
فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا
صحيحا او فاسدا كترك الصلاة عمدا وفعل الفاحشة عمدا
مع العلم بحرمتها وعليه قوله تعالى قالوا اتتخذنا هزوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فجعل فعل الهزء جهلا
وهذا المعنى الثالث هو الجهالة وتقدم انها بمعنى السفاهة
ضد الحكمة والتدبير ويمكن ان يراد بها الجهل بالمعنى الاول الذي
هو ضد العلم لانه لازم لكل انسان اذ علم كل انسان مرتبط
بضده لانه وان علم ما علم فلا بد ان يجهل ما لم يطلعه الله
عليه فهو من جهة ما لم يعلم معروف بالجهل فصفات البشر
مرتبطة باضدادها ولا يتصف بالصفة الاحدية الا الله
اذ علمه محيط بكل شيء فليس لعلمه ضد مرتبط به ولا يقبل
علمه الزيادة ولا النقص ويؤيد الاحتمال الثاني مقابلته
بقوله وانت بالعلم الكامل لا بضده موصوف لان افعاله تعالى

متقنة

متقنة محكمة ومن كان فعله كذلك لا بد ان يكون عالما فهو تعالى
عالم بالكليات والجزئيات الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك اي احاط علمك
بجميع ما ارتكبت من مجهولاتي التي ادي الى ارتكابها والارتباك بها
جهالتي فالجهالة مصدر بمعنى اسم المفعول فسع ذلك اي
جهالتي برحمتك كما وسعته بعلمك سال الله تعالى ان يسع
جهالته المطلقة برحمته المطلقة كما وسع ذلك بعلمه المطلق اي كما
انه لا شيء من جهالتي يخفى عنك فسعه برحمتك حتى لا يكون
شيء منه الا وقد وسعته رحمتك وذلك مقتضى لتغطية
نقص العبد بكمال ربه فيصير به واليه ويندرج في بداية بابها ده
وتاييده كما قال وادرج اسمائي تحت اسمائك وصفاتي تحت
صفاتك وفي الحكم لو انك لا تصل اليه الا بعد محو مساويك ،
ومحو دعاويك ، لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد ان يوصلك
الله غطى وصفك بوصفه ، ونعتك بنعته ، فوصولك اليه بما
منه اليك ، لا بما منك اليه ، وانما قال برحمتك ولم يقل بعفوك
او بمغفرتك لان الرحمة يحتاج اليها في الطاعة والمعصية فان من
وسعت رحمة الله طاعته زكت عنده ، ومن وسعت الرحمة
معصيته غفرت له بالرحمة فلا يستغني عن الرحمة في كلتا
الحالتين ، وقال الشيخ المؤلف رضي الله عنه في بعض عباراته ته
ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته ، وتدبير من
تدبيراته ، واختيار من اختياراته ، فلو خلى الله تعالى عبد

الي ذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله تعالي ان يوصل
عبده اليه تولي ذلك له بان يظهر له من صفاته العلية ونعو نه
القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون
ذلك علامة محبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وعند ذلك
لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه واراده فيكون
حينئذ واصلا الي الله بما من الله اليه من الفضل والكرم
لا من العبد اليه من الاجتهاد والعمل وحينئذ يتضح ان هذا
الطلب ليس من تحصيل الحاصل في قوله تعالي ورحمتي وسعت
كل شئ ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما لان هذا الوسع
عام صادق بالايجاد ثم بالامداد العام وما نحن فيه طلب
امداد خاص ثم مع كونه خاصا مشروط فيه ان لا يكون ثم
اخص منه لتعليقه علي وسع العلم واحاطته **واغفر لي** هذا
راجع لما ينطوي عليه العمل من المعاصي فان قيل اليس
انك قلت ان سعة الرحمة عامة في الطاعة والمعاصي فلم كرر
قوله واغفر لي قلت لانه جعل سعة الرحمة لافعاله وجها لنه
سببا للمغفرة والمفعول محذوف اي اغفر لي ذنبي الذي
اقترفته بسبب جهالتي **انك علي كل شئ قدير** هذا اثبا ت
لقدرة الله عز وجل ويدل علي اثبات قدرته صدورا وافعا له
وفي الاقرار بانه سبحانه علي كل شئ قدير ايمان بالقدر

اذ القدر

اذ القدر اضافة الافعال كلها لله سبحانه فان قيل لم قال انك
علي كل شئ قدير ولم يقل انك انت الغفور الرحيم لانه لما
ذكر المغفرة والرحمة ناسب ذكر هذين الوصفين قلت
هذا اكثر فائدة لانه لما سال منه المغفرة وسعة الرحمة
تحقق اعتقاده انه غفور رحيم اذ لا يسال الشئ ممن لا يقدر
عليه فان قيل ما حكمة عدوله الي قوله انك علي كل شئ
قدير قلت الاشارة والتنبيه علي انه ما سال الا ممكنا
تتعلق به القدرة وكانه يقول لان وسعت احوالي برحمتك
وغفرانك لي ذنبي مما هو صالح لان تتعلق به قدرتك واراد تك
لا انه مما يستحيل تعلق القدرة به فانا اخرج عن السؤال
يا الله يا مالك يا وهاب اتي بهذه الاسماء الثلاثة لسر
يتضح بايضاح معانيها اما الله فهو اسم للموجود الحق الجامع
لصفات الالوهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود
الحقيقي الذي كل موجود سواه انما استفاد الوجود منه
وهو اعظم الاسماء لدلالته علي الذات الجامعة لجميع الصفات
وسائر الاسماء انما تدل علي معني واحد من علم او قدرة او فعل
مخصوص من الافعال او غير ذلك ولانه اخص الاسماء استعمالا
فلا يطلق علي غيره تعالي لا حقيقة ولا مجازا وحظ العبد
منه التوله وهو استغراق القلب والهمة فيه تعالي بحيث
لا يري غيره ولا يلتفت لسواه وغيره من سائر الاسماء قد
يتصف العبد بمعناه كالقادر والعالم والصبور علي سبيل

المجاز ومن اجل هذا الاختصاص تتصف ساير الاسماء بانها اسماء
الله وتعرف بالاضافة اليه فيقال القوي العزيز من اسماء
الله ولا يقال الله من اسماء القوي العزيز واما المالك
فهو المستغني في ذاته وصفاته عن كل ما سواه المفتقر اليه
كل ما عداه ولا يستغني عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في وجوده ولا في بقائه فوجود كل شيء منه وبقاؤه
وفناؤه منه ومن بهذه المثابة فهو المالك المطلق واما
الوهاب فهو مسدي الهدايا ومعطي العطايا من غير غرض
ولا طلب عوض ومن بهذه المثابة فهو الحقيق بان يسمى
وهابا اما من وهب لعوض عاجل او اجل من ثناء او مدح
او تخلص من مذمة او اكتسابه شرف فليس يستحق اسم
الوهاب ولا الجواد لان الهبة التمليك بلا عوض وليس
يكون ذلك الا من الله اذ لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا
وحظ العبد منه سخاوة النفس والايثار وذلك بقوة
اليقين ولهذا قبل صلى الله عليه وسلم من ابي بكر حين
قال له ما تركت لاهلك يا ابا بكر قال الله ورسوله ورد على
غيره وقال ياتي احدكم بجميع ماله ويترك اهله عالة
يتكففون الناس وانما ذلك لما علم عليه السلام من قوة
يقين ابي بكر بخلاف غيره واذا احطت بمعاني هذه الاسماء
فكانه يقول يا جامع صفات الكمال ذاتا ووصفا يا من هو
الغني عن كل شيء اليه مفتقر يا من صنعه جميل وعطاؤه

جزيل

جزيل عار عن قصد الاعراض والاعواض فان من سال
من لا يعجز عن المطلوب ولا يعارض ارادته معارض
ولا يمنعه مانع ولا يورثه العطاء فقرا فهو ممن يحصل له
المآرب وبلوغ المطالب وهذه مناسبة عظيمة بين
هذه الاسماء وبين مطلوبه في قوله هب لنا من نعمائك
بضم النون والقصر وهو النعمة قال الجوهري وان فتحت
النون مددت وسياتي في الحزب واوزعنا شكر نعمائك
بالفتح والمد وفي المصباح والنعمى وزان حبلى والنعماء وزان الحمراء
مثل النعمة وجمع النعمة نعم مثل سدرة وسدر وانعم ايضا
مثل افلس وجمع النعماء انعم مثل البأساء يجمع على ابؤس
والنعمة بالفتح اسم من التنعم والتمتع وهو النعيم ونعم
عيشه ينعم من باب تعب اتسع ولان ما علمت لنا فيه
رضاك بالقصر كما هو الرواية هنا وبالمد والاول مصدر
والثاني اسم مصدر ففي المختار ورضي عنه بالكسر رضى
مقصور مصدر محض والاسم الرضاء ممدود انتهى وهو
هنا مضاف لفاعله او مفعوله اي رضاك عنا او رضانا عنك
والرضى غير الارادة على الاصح فانه تعالى يريد بعض افعال
المكلف ولا يرضاه وهو المعاصي ورضى العبد عن الله تعالى
ان لا يكره ما يجري به قضاؤه ورضى الله تعالى عن
العبد ان يراه مؤتمرا بامره منتهيا عن نواهيه فرضى
العبد عبارة عن اختيار ما اختاره الله ويعبر عنه بترك

الاعتراض وفي الحديث من لم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوايَ
وحده بعضهم بان ارادة مقرونة بطيب النفس بالموافق وعدم
السخط في غير الموافق والسخط كراهة الشيء وارادة غيره ؛
واكسنا بضم السين كسوة بضم الكاف وكسرها وهي كل ما يلبس
اي البسنا وحسن التعبير بهذا الفعل كون اللباس زينة وسترة
فاستعمل فيما يتحلى به العبد مما يطلب به الزينة والستر وكانه
يقول اجعل لنا من عصمتك وقاية تقنا مجزوم بحذف الياء
على جواب الدعاء نظير قوله تعالى اخبارا عن موسى في دعائه
ارسله معي رداء يصدقني وعن زكرياء في دعائه فهب لي من لدنك
وليا يرثني على قراءة الجزم فيهما ويحتمل انه الفعل مرفوع
على انه صفة لكسوة ولا يرد عليه حذف الياء لان الاجتزاء بالكسرة
عن الياء في المعتل لغة وردها القرآن ايضا ومعنى تقنا تمنعنا
وتحفظنا بها من الفتن في جميع عطاياك ال للاستغراق اي
من كل فتنة فيما اعطيتنا وجعل العطايا محل الفتن لانها
مشتملة على المال والاهل والولد والعمل ومن وقي فتنتها
فقد عصم وحفظ وقدسنا نزهنا وفي خط سيدي عبد النور
زيادة لفظة بها اي بهذه الكسوة التي سالناكها فتكون سببا
في تقديسنا وبعدنا عن كل وصف ذميم من صفات النفس
يوجب نقصا خفيا وبينه بوصفه بقوله مما اي من النقص
الذي استاثرت بالالف قبل التاء المثلثة اي اختصصت
به في علمك اي انفردت بعلمه عمن سواك بتعلق باستاثرت

أي

اي لم تطلع احدا من خلقك اي قدسنا عن كل ما يوجب نقصا
خفيا تختص بعلمه فضلا عما كان جليا وفي دعائه اللهم اغفر
لنا ما علمه البشر من خلقك واغفر لنا ما استاثرت به عنا
وعن جميع خلقك يا الله يا عظيم البالغ اقصى مراتب العظمة
فلا نسبة لاحد معه في علو شانه وجلاله قدره ذاتا وصفاتا
وافعالا واسماء وهو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط به بصر
ومرجعه للتنزيه عن احاطة العقول بكنه ذاته ومن عرف
انه العظيم صغر في عينه كل شيء الا ما له نسبة من تعظيمه
تعالى وحظ العبد من هذا الاسم من حيث التعلق والتخلق
بان يشهد في نفسه الذلة والافتقار لعظمته تعالى وبان
يتعاظم عن كل وصف ذميم يا علي يا كبير العلي المرتفع عن
مدارك العقول ونهاياتها في صفات ذاته وصفاته وافعاله
قال الشيخ زروق من عرف انه العلي الذي ارتفع فوق كل
شيء علوه مكانة وجلالة سمت همته اليه ، فجعلها في احواله
وقفا عليه ، والتقرب به تعلقا برفع الهمة اليه ، وجعل
اختيارك وقفا عليه ، فلا تختار في دنيا وآخرة سواه ، ولا
تعتمد فيهما الا اياه ، وتخلقا بالجنوح الى معالي الامور ، وفي
الحديث ان الله يحب معالي الامور ، ويكره سفسافها وعن
علي كرم الله وجهه علو الهمة من الايمان انتهى والكبير
الذي يصغر عند ذكره وصفه كل شيء سواه فهو يحتقر كل
شيء في جنب كبريائه ومن عرف كبرياءه نسي كبر نفسه

فلم يبق له دعوى والتعلق به بالتواضع والانصراف عن اساءة
الادب بلزوم حفظ الحرمة وبالانصاف بمقتضى حديث
جالس العلماء وصاحب الحكماء وخالط الكبراء قيل العلماء
العارفون باحكام الحلال والحرام والحكماء العارفون بصفات
الله واسمائه والكبراء هم العارفون بكلا الامرين ثم هو
تعالى العظيم في الوهيته وعلوه عن كل علو لا يليق بذاته
والعلي في عظمته وكبريائه فوق كل عظمة وكبر لغيره والكبير
في علوه وعظمته لصغر كل شيء سواه فهي اسماء متداخلة
يسري معنى كل منها في الاخر بارتفاع الوصف الى غاية
ما اراد به وقد قيل كل اسم سرى معناه في الاسماء فهو الا عظم
وذلك في الاسماء الحسنى سبعة او ثمانية منها هذه كما دلت
عليه الاحاديث نسالك الفقر مما سواك والغنى بك حتى
لا نشهد الا اياك قال المؤلف في كتابه القصد الى الله الزهد
ان يغنيك الله حتى يغني بك من احب او توسل او داب
او سال فقد كفاني بذلك قال لا تتخذ منهم عدوا ولا حبيبا
وسياتي في هذا الحزب قوله واغننا بلا سبب واجعلنا
سبب الغنى لاوليائك وفي الحكم تحقق بوصفك يمدك
بوصفه تحقق بفقرك يمدك بغناه يعني ان من صح فقره
الى الله بانقطاعه اليه واياسه ممن سواه ومن جملة ذلك
نفسه وحوله صح غناه بربه وذلك انما يتحقق بغيبته
عن فقره في حال فقره والا كان مقيدا به ومنقطعا

عن الله بسببه وشهد في لسان العرب له محامل يكون بمعنى
حضر ومنه شهدنا بدرا ومنه قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر
فليصمه اي من حضر منكم المصر في الشهر في تفسير بعض المفسرين
او حضر منكم الشهر في المصر ويكون بمعنى اخبر ومنه شهد
عند الحاكم وبمعنى علم ومنه والله على كل شيء شهيد وهو
هنا بمعنى نعلم اي حتى لا نعلم لنا ربا الا انت اي حتى لا نعول
في شيء من الاشياء الا عليك والقصد من هذا الكلام سوال
الانقطاع عن كل ما سواه فلا نعول الا عليه والاول معنى
الفقر مما سواه والثاني معنى الغنى به وذلك لان العبد
اذا كمل شغله بربه حتى فني عن ذكر غيره كان فناء وهو على
ثلاثة اوجه فناء في الافعال لا فاعل الا الله وفناء في الصفا
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا
متكلم على الحقيقة الا الله وفناء في الذات لا موجود على الاطلاق
الا الله فان قوي اشتغاله بربه حتى نسي نفسه كان
فناء الفناء وهو قوله والغنى بك اي عمن سواك لقوة شغل
القلب وانقطاعه اليك واياسه من غيرك ومن جملة ذلك
النفس وحولنا وذلك انما يتحقق بغيبته عن فقده في حاله
فقده وشغله به حتى عن نفسه كما اوما الى ذلك بقوله حتى
لا نشهد الا اياك المشاهدة التامة وذلك بفقد الاحساس
حتى بالنفس وان كانت المشاهدة مقولة بالتشكيك لان
فيها اعلى وهو المراد هنا المسمى عند القوم بفناء الفناء كما ذكر

وادبي بان يكون العبد مشاهدا لمولاه قبل الغفلة عنه ناظرا لما
يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه
وهو الفناء كما تقدم ثم بعد ان يشتغل العبد بالحق يكون فناؤه
عن غيره فمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من
الاغيار عينا ولا اثرا ولا رسما ولا طللا فقد فني عن الخلق وبقي
بالحق فهو كامل المشاهدة ثم الاول فناء عن نفسه وصفاته
ببقائه بصفات الحق سبحانه ثم اعلى منه فناؤه عن صفات
الحق بشهود الحق ثم اعظم منه فناؤه عن شهود فنائه
باستهلاكه في وجود الحق فجعل الفناء والبقاء على ثلاث مراتب
فناء العبد عن صفات نفسه من اعماله واخلاقه واحواله
ببقائه مشاهدا لصفات ربه فاذا اشتغل بكمال الذات
المنزهة عن الجهات فني عن ذكر الصفات وبقي ذاكرا الفنا
عن الصفات فاذا اشتغل بالذات فني عن فنائه وبقي
ذاكرا الذات وهو فناء الفناء كما تقدم والطف بنا اي اوصل
الينا منافعنا من حيث لا ندري على وجه تعلم انت سبحانك
مصلحته وحدك وقوله فيهما اي في حالتي الغنى بك والفقر من
غيرك وقوله لطفا علمته يصلح لمن والاك زيادة تاكيد بل فيه
زيادة طلب لان مراتب اللطف متفاوتة اي لطفا لا كاللطف
بعامة الخلق اذ قد يكون ما هو لطف في حق بعض فتنة في حق
آخرين فحسن الاتيان بهذا المصدر موصوفا بما ذكر الا ترى
ان اللطف بابناء الدنيا ايجاد الدينار والدرهم وتسهيل

لان اللطف بالاولياء ليس
كاللطف بعامة الخلق م

الرزق

الرزق وهذه الاشياء وان كانت لطفا في حق من رزقه الله اياها
على الوجه السائغ فهي بلية في حق قوم آخرين فالمراد بمن
والاه من واصله بالقرب والحب وهم الاولياء واكسنا
جلابيب العصمة في الانفاس واللحظات الجلابيب جمع جلباب
وهو كما لابن فارس ما يغطى به من ثوب او غيره ولكون الجلابيب
معدة للتستر استعيرت هنا لانواع العصمة التي تستر
العبد من الذنب لان من كان معصوما في الانفاس واللحظات
كان مغطى عن اعين ابليس وجنوده فكانه تستر عنهم بجلباب
واما اية انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فقد خصص
عمومها بعض دون بعض حتى قال صاحب المعارف عن بعض
الاكابر ان الاية منعكسة في حق البعض والانفاس جمع نفس
بفتحتين وهو نسيم الهواء واللحظات جمع لحظة وهي مد
البصر عند انفتاح الاجفان وذكر الانفاس واللحظات لتضمنهما
استغراق عمر الداعي نظير قوله في حزب البحر نسالك العصمة
في الحركات والسكنات والكلمات والارادات والخطرات الى
اخر ما ذكر من اسباب الاحتجاب عن الغير والعصمة هنا
المنع من الذنوب بالستر من الوقوع فيها حتى لا نعرف طريقها
ولا تخطر لنا على بال ولا تنزل بنا في حال من الاحوال وذلك
جائز في حق غير النبي وواجب له وللملائكة وفي كلام العراقي
على حديث والسلامة من كل اثم جواز سوال العصمة من
كل الذنوب قال المحشي وهذا الطلب من جملة ما يندرج

فيما نعتقد من طلب التدريس وغيره ولكنه تفصيل بعد اجمال
وسيقول ايضا واكسنا من نورك جلابيب العصمة والجلابيب
جمع جلباب وهي الملاءة استعيرت للستر العام والله اعلم
واجعلنا عبيدا لك في جميع الحالات اي كاملين في العبودية
متحققين بها فلا نتغال بغير طلب ما هو حاصل ونتصور العبودية
مضافة لغيره تعالى كما في قوله صلى الله عليه وسلم تعس
عبد الدينار والدرهم ومن كان عبدا لله في جميع احواله من
فقر وغنى وفقد ووجد وغير ذلك لم يتصف طرفة عين
بانه عبد لغيره ولما كانت ثمرة العبودية الانقطاع للمالك والا ستسلام
اليه والتصرف بمراداته صح سلب العبودية عند تخلف هذه
الصفات اذ ينتفي الشيء بانتفاء ثمرته فيقال للعارف عبد الله
بطريق اضافة التشريف ولا يقال للعاصي المنهمك عبد
الله وفي رسايل الشيخ ابي عبد الله ابن عباد اوجز ما قيل
في العبودية قول بعضهم هي مشاهدة الربوبية وهذه عبا رة
جامعة لمعاني العبودية على مذهب القوم وهي اشارة الى
مقام الاحسان المذكور في حديث جبريل عليه السلام
وقيل العبودية في اربع خصال الوفاء بالعهود والحفظ
للحدود والرضى بالموجود والصبر عن المفقود والحاصل
انها صفة قايمة بالعبد تحمله على امتثال الاوامر واجتناب النواهي
والرضى بالاقدار ولها اول في مقام الاسلام وآخر في مقام الا حسان
ولا صارف للعبد عن اقامتها في مقاماتها الا النفس الامارة

ولا سبيل

ولا سبيل الى استسلامها لاحكام الربوبية الا بمجاهدتها على طريقة
هذه الطايفة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وفي الحكم
اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبود يتك
قال الشيخ زروق وللعبودية لوازم وهي احكام المملكة
وهي امتثال الامر والاستسلام للقهر التي من لازمها كان
مطيعا للرب عاملا باسباب القرب انتهى وكان المعنى اجعلنا
بحيث لا نرى حسن نيتنا ولا نعتقد حسن امورنا ولا تتعلق لنا
همة بمن سواك وعلمنا من لدنك من قبلك علما تصير به
اي بسببه كاملين اي من الكمل عندك بحيث نتنعم به في ا لمحيا
والممات اي في الحياة والموت وهو العلم الذي يكسب صاحبه
خشية من علمي الظاهر والباطن اما علم الظاهر فهو معرفة
الكتاب والسنة والاحكام الشرعية وادلتها واما علم الباطن
فهو ما يرد على قلوب الاولياء من الالهامات المشار اليه
بحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومنه
ما يلقى في ارواع الخلص من هذه الامة كما في حديث ان يكن
منكم مكلمون ومحدثون فمنهم عمر ومنه ما القي في ر وعه
وهو على المنبر في قضية سارية حتى قال يا سارية الجبل
هذا ورفع تصير على ان الجملة صفة لعلما نظير هب
لي من لدنك وليا يرثني على قراءة رفع يرثني حيث لم
يقصد به جواب الدعاء ولو قصده لجزمه كما سبق له جزم
نقنتنا فيما تقدم على ان سر تخصيص كل بما اختص به كما

للمحيطي صحة اسناد تعتنا فيما تقدم الى الله فيحسن فيه جواب الدعاء
بخلاف نصير فيحسن فيه الوصف والله اعلم ثم قصد المصنف ان
يطلب مطلبا آخر فقدم له هذه الاسماء فقال اللهم انت الحميد
المحمود يحمد نفسه ازلا ويحمد عباده له ابدا ويرجع الى صفة
الجلال والعلو والكمال ومن عرف انه الحميد شغله ذكره والثناء
عليه عن ذكر نفسه والثناء عليها والتقرب به تعلقا بكثرة
الحمد والثنا على الله تعالى في جميع الاحوال وتخلقا بان يوثر
محاسن الخصال وجميل الفعال الرب المالك او السيد او
القايم بالامر او المصلح او المزكي المجيد مبالغة في الماجد والمجد
الشرف التام ولذلك وصف الله تعالى به القرآن فقال
ق والقرآن المجيد واصل المجد في كلام العرب الكثرة والسعة
في الكرم والجلالة فالمجيد في الحقيقة هو الشريف ذاته الجميل
افعاله او الكثير افضاله الجزيل عطاوه ونواله وحظ العبد
منه بالمعنى الاول يرجع الى التقوى وبالثاني الى كثرة العطا
ومن عرف انه المجيد خضع تحت سلطانه ولم ينظر الى غيره
فيما هو من شانه وكل شيء منه واليه فهو من شانه الفعال
لما تريد لا يحرك شيء ولا يمنع حجر في افعالك وارادتك تعالى
ان يكون في ملكه ما لا يريد نعلم فرحنا بماذا اي باي سبب
يكون اي نعلم سببه وهو نعمك علينا وايصالها الينا وبماذا
اي وللعلة التي يترتب عليها وهي رضاك عنا ومحبته لنا
وعلى ماذا اي على اي وجه يقع ويحصل كالاستبشار بالا من

بالامن من عذابك ونعلم حزننا كذلك اي بماذا ولماذا وعلى ماذا
اي نعلم سببه وهو سلب نعمتك عنا وعلته وهي سخطك
وعدم رضاك وكيفيته وهي توقع انواع الالم والبلايا والحزن
لا يكون الا على احد شيئين اما تاسفا على فائت او توجعا
على ممتنع فان كان على ممتنع ونهض الى اسبابه الموصلة
اليه فهو حزن الصادقين لانه بعث صاحبه على اصلاح ما فسد
من حاله ووقته وفيه قال ابو علي الدقاق يقطع صاحب
الحزن في شهر ما لا يقطعه غيره في سنين وان لم ينهض الى تدارك
اوقاته واصلاح ما فسد من حالاته فهو حزن الكاذبين
حكي ان رجلا قال واحزناه فقالت له رابعة قل واقلة
حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك ان تتنفس فان الحزن
الذي يجده الانسان من نفسه ان لم يحثه على النهوض
والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وهو الحزن الكاذب
الذي معه البكاء الكاذب لكن ذكروا انه قد يكتفي به من
المبتدي لعله يتذكر او يخشى فيصير بكاره حقا وحزنه
صدقا ولذا قال عليه الصلاة والسلام ان لم تبكوا فتباكوا
وقد اوجبت كونه ما اردته فينا ومنا اي وقد سبق قدرك
بنفوذ ما اردته من نفوذ احكامك فينا ومن صدور افعالنا
منا والكون هنا من الكون التام وايجاب الله ذلك من
حيث ان مراده لا بد وان يكون والمعنى وقد اوجبت اي
قضيت وحكمت بكون الذي اردته من احكامك نافذا فينا

ومن افعالنا صادرا منا لا يتخلف شي من ذلك لسبق قضا بك
في الازل به قيل لابن عباس رضي الله عنهما ما مراد
الله من خلقه ايطيعونه ام يعصونه فقال اراد منهم
ما وقع منهم، فمراد الله من خلقه ما هم عليه هل من
خالق غير الله والله خلقكم وما تعملون اي عملكم
ولا نسالك دفع ما تريد اي لا نطلب منك تبديل ما ار دته
لاستحالة وقوع ما لا تريد المبدل به ما تريد تعالى ربنا ان يكون
في ملكه ما لا يريد ولكن نسالك التأييد الاعانة وفي الاحياء
التأييد عبارة عن تقوية البصيرة من داخل وتقوية البطش
ومساعدة الاسباب من خارج فكانه جامع للهداية التي مر جعها
للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشي في حقيقته وللرشد
الذي مرجعه للارادة الباعثة الى جهة السعادة وللتسديد
الذي مرجعه الى القدرة على توجيه الحركات الى صوب المطلوب
وتيسيرها عليه انتهى بروح اي نور من عندك الروح لفظ مشترك
له عشرة محامل منها النور كما هنا ومنه قوله تعالى اوليك كتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه قال المحلي اي نور ويحتمل
هنا ان يراد بها النفس المطمئنة احد اقسام النفس لانها
العلية الامرة بالارتقاء الى الدرجات المقربة الى الله والاقبال
عليه وتنهى عن البعد منه والاعراض عنه ويحتمل ان
الروح هنا روح الوصلة واليقين كما سيقول وانصرنا باليقين
والتوكل عليك وفي تفسير الودجي وايدهم بروح منه ايدهم

بتجلي ذاته لارواحهم وما ابقاهم في روية الصفات بل اغرقهم في قاموس
الذات، فوجدوا فيه جواهر اسرار الربوبية، وحقايق انوار الالهية،
فقد كلف هذا النوع الانساني بالاتصاف باوصاف باريه، والتخلق با خلاقه
على قدر وسعه واستطاعته، وان يضع الاشياء مواضعها كما ينبغي
فيها ولذا كان خليفة والخليفة بدل من المستخلف كما ورد في اعظم
الخلفا صلى الله عليه وسلم، وانك لعلى خلق عظيم، قال
في التفسير كان على اخلاق الربوبية ولذا نزله منه من يطع الرسول
فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فيما نريد فيكون
ما تريد منا مصحوبا بتاييدك واذا كان كذلك فانه لا يكون الا مقرونا بذلك
لان من ايده الله بروح منه جعل له خاطرا باعثا على الخيرات
والخواطر احوال ينشيها الحق في قلوب الخلق تارة بلا واسطة مخلوق وتا رة
بواسطة مخلوق من ملك او شيطان او نفس فاذا كان الملقى الخاطر
في القلب من قبل الملك فهو الالهام وهو الملقى في القلب بطريق
الفيض والتأييد الالهي واذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس
واذا كان من قبل النفس فهو الهاجس ويقال له التسويل،
والتطويع قال تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا وقال فطوعت
له نفسه قتل اخيه وقد يعبر بالهاجس عن الخاطر الاول وهو
الخاطر الرباني وهو لا يخطئ ابدا فاذا تحقق في النفس سمي ارادة
فاذا تردد الثالثة سمي هما ثم عزما وعند التوجه الى الفعل
قصدا ومع الشروع في الفعل نية واذا كان من قبل الله سبحا نه
والقايه في القلب فهو خاطر حق يرد على سر العبد جبرا ولا يمكنه

الانفكاك عنه وفيه توجد الفراسات والحياء من الله والانكسار
له لانه سبحانه ما تجلى لشيء الا خضع له وهذا هو التوفيق
الالهي ويقوى في حق قوم ويضعف في حق آخرين وهو المعنى
بقول الشيخ رضي الله عنه كما أيدت اي قويت انبياءك ورسلك
وخاصة الصديقين من خلقك فيه اشارة الى ما قدمنا
من قوة التوفيق وضعفه اذ الصديقون وان عظمت
احوالهم لا يساوون الانبياء فان الخواطر الالهية والتوفيقا
الربانية في حق الانبياء اقوى منها في حق غيرهم انك على
كل شيء تشاؤه قدير كامل القدرة اللهم فاطر بالنصب
على النداء اي يا فاطر اي يا خالق السموات والارض ومخترعهما عنهما
ومبدعهما عالم الغيب بالنصب ايضا على النداء ونعت لفا طر
والشهادة اي عالم السر والعلانية فقد احطت بكل شيء
على ظاهرا كان او باطنا دقيقا او جليلا انت تحكم اي تتولى
الفصل بين عبادك يوم رجوعهم اليك وفي هذا ما يقطع
فواد العارف فانه لما ذكر انه الحاكم بين العباد وهو العا لم
بما دق وما جل وما بطن وما ظهر ايقن العارف بان ما سلف
منه يوقف عليه فصلا فصلا اذ لا ذهول عنه ولا نسيا
والعباد جمع عبد وسمي عبدا من قولهم طريق معبد اي
مذلل بالوطئ والمشي فيه والعبد محل لمجاري القضاء
والقدر وعبدت فلانا اذا ذللته واتخذته عبدا والعبد
يقال على اضرب عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذي يصح

زمعو

بيعه وابتياعه نحو العبد بالعبد وعبد بالايجاد والخلق وذلك
ليس الا لله واياه اراد بقوله ان كل من في السموات والارض الا
آتي الرحمن عبدا وعبد بالعبادة والخدمة وهو المقصود بقو له
واذكر عبدنا ايوب فوجدا عبدا من عبادنا وعبد الدينار
واعراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها واياه قصد
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعس عبد الدينار والد رهم
وجمع العبد الذي هو مسترق عبيد والذي هو عابد عباد
قاله الراغب هنيئا صفة من هنوء الشيء بالضم مع الهمز
هناءة بالفتح والمد تيسر من غير مشقة ولا عناء فهو هني
وفي النهاية كل امر يأتيك من غير تعب فهو هنيء ونصبه
على المفعولية المطلقة لنيابته عن مصدر وقائم مقام فعله
حذف للجمع بين وجازة اللفظ وتاكيد المعنى ولايهام الجمع بين
متنافيين من الايجاز والاطناب ملاحة ورشاقة وكانه
قيل فليهنا هنياء واللام في لمن عرفك للتبيين متعلقة
بمحذوف مثل سقيا لك ورعيا والمعرفة بالله تحقيق
العلم باثبات الوحدانية وهي حياة القلب مع الله ونسيا ن
غير الله والمراد عرفك حق معرفتك بالاسماء والصفات
والافعال وصدقك في معاملاته واخلص في قصوده ونيا ته
وانسلخ من اخلاقه الرديئة وآفاته وتطهر من ارداناته
ومخالفاته وصبر على احكام الله في نعمه وبلياته ودعا
الى الله على بصيرة بدينه وآياته فانه من كان بتلك

المنابة فهو العارف وعن تلك المعرفة يتسبب الرضا بالقضا
كما قال فرضي بقضائك اي اسلم اليه وانقاد وابتهج به وسر
والرضى لغة الموافقة والقبول للامر بسهولة واصطلاحا
ترك الاختيار او هو اسم للوقوف الصادق حيث اوقفه
الله العبد لا يلتمس تقدما ولا تاخرا ولا يطلب مزيدا ولا
يستبدل حالا وسببه تفكر العبد في تفاصيل منن الله
عليه وما خصه به من غير عمل وثمرته عدم الاعتراض
على شيء من المقدور والسلامة من كراهة فلا يتمنى انه
لم يقع ولا زواله بعد الوقوع وهذا لا يمنع الدعا بما لم
يقع من الخير اذ الدعا بالممكن لا يمنع الرضى بالحاصل
وان زال ضمنا فانه غير مقصود وقيل الرضى سرور
القلب بمر القضا وقيل الرضى ارتفاع الجزع في اي حكم
كان وقيل رفع الاختيار وقيل سكون القلب تحت مجاري
الاحكام وقيل استقبال الاحكام بالفرح قلت
والمراد بالوقوف الصادق وقوف العبد عند ما خلق له
وهو العبودية ومراد الرب منه في كل حال ان يكون حيث
اوقفه مولاه وقف بحيث لا تخالجه ارادة غير ارادة سيده
ولا تعترضه داعية ولا اختيار فان قدمه سيده تقدم
وان اخره تاخر لانه منسلخ عن اختياره وارادته و هذا
لاهل المقامات السنية فان الرضى قسمان قسم يكون
لكل مكلف وهو ما لا بد منه في الايمان وحقيقته ان لا

يعترض على حكم الله وتدبيره وهو وظيفة العوام لانه ضد الغضب
وقسم لا يكون الا لارباب المقامات وذوي النهايات وحقيقته
ابتهاج القلب وسروره بالمقضي ولما سئلت رابعة ،، م ،، بالقضا ،،
رضي الله عنها متى يكون العبد راضيا قالت اذا سرته المصيبة
كما تسره النعمة واختلف في هذا هل هو من المقامات
او الاحوال فقال اهل خراسان بالاول ومعناه انه مكتسب
للعبد وهو نهاية التوكل واهل العراق بالثاني واما
قضاء الله تعالى فهو ارادته الازلية المتعلقة بالاشيا
على ما هي عليه فيما لا يزال والقدر ايجاد الله اياها فيما لا يزال ،، ٢ م ،، في الازل ،،
على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها فتعلق
الارادة في الازل قضاء وفيما لا يزال قدر ومرجعه الى التعلق
التنجيزي وهو الذي في شرح المواقف وقيل القضا ما ذكر
مع التعلق والقدر تخيير الله عبده على ما قضاه قاله
في الاكمال وقيل القضاء والقدر حادثان والقضاء سابق
وهو حصول جميع الاشيا في اللوح المحفوظ مجملة ومجتمعة
والقدر ابرازها مفصلة شيئا بعد شيء على وفق القضا
ذكره ابن زكري في نظمه والذي قال يترادفهما قال كلا هما
بمعنى استناد الكائنات لله تعالى خيرا وشرا واذا علمت
ان القضاء على بعض الاقوال حادث وانه صفة فعل
لله سبحانه وبمعنى التعلق التنجيزي للقدرة فهمت
صحة كونه مدعوا به ومتعلقا لطلب العبد تعالى على وفق

ذلك اللهم افض لنا بخير ومنه قول ابن مالك والله يقضي
بهبات وافرة ولا فرق بينه وبين قولك اللهم اعطنا هبات
وافرة واما اذا فسر القضاء بمعنى الارادة القديمة فلا
يصح حمل ما ورد من نحو هذه الامثلة عليه اذ المطلوب
هو المقدور والمراد اي الذي تتعلق به القدرة والارادة ولا
يكون الا ممكنا وارادة الله سبحانه واجبة ازلية ليست
من متعلقات القدرة فتعين حمل يقضي في والله يقضي
على ما يليق من رجوعه لصفة الفعل اطلاقا حقيقيا
ان التزمنا القول بان القضاء صفة فعل او مجازا على
القول الاخر والويل اي الخسران وهو ايضا واد في جهنم
وكلمة تقال لمن وقع في هلكة يستحقها لمن لم يعرفك
لانه قد خسرت تجارته بل الويل ثم الويل كرره مبا لغة
لاستغراق الخسرات جميع الحالات لمن اقر بوحدانيتك
بتشديد المثناة التحتية نسبة الى وحدات مبالغة في الو حدة
وهي كما لسعد الدين عبارة عن نفي الكثرة بحسب الاجزا
والجزئيات اما بحسب الاجزا فبان لا يتركب في ذاته واما
بحسب الجزئيات فبان لا يوجد الهان او اكثر وهذا معنى
الكم المتصل والمنفصل في الذات عند علماء الكلام واما
في الصفات فبان تقوم به قدرتان فاكثر او علمان فاكثر
ونحو ذلك والكم المنفصل في الصفات ان تكون ثم صفة
كصفته قائمة بذات اخرى والشريك في الافعال ان يكون

نحو من يؤثر شيئا من دون الله سواء كان ذلك المؤثر الها اولا
وبالجملة فحقيقة الوحدانية يشتمل على ثلاثة مطالب
وحدانية الذات والصفات والافعال وكل من القسمين
الاولين ينقسم الى قسمين بحسب الاتصال والانفصال
فتكون خمسة مطالب ولم يرض باحكامك التي كلفت
بها عبادك او اجريتها عليهم غير ملائمة لاغراضهم
كالفقر والامراض ولواحق الاعراض فان الله سبحانه
هو الحاكم القاضي الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
ومن الحكم يتشعب القضاء فلا يخرج شيء عن قضائه
وقدره وحكم الواحد لا مهرب عنه وقهره لا مخلص منه
اذ لا غير يجير منه ويهرب اليه فكان مقتضى الاقرار بالو حدانية
الاستسلام والتسليم والرضى ومن الاحاديث القدسية
قول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته
للخير واجريت الخير على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم
وكيف وما ذكر من الاقرار بالوحدانية مع عدم الرضى
مما خرج مخرج الدليل والبرهان على تاكد الويل في حق
من لم يسلم ولم يرض مع ذلك لانه مخالفة مع الحلم ومن
علم ولم يعمل بمقتضاه تضاعف الويل لعظيم جرءته فتشتد
الحسرة عليه نسال الله السلامة والعافية اللهم ان القوم
الذين هم اولياؤك الذين اخترتهم للقرب منك قد حكمت
عليهم في اول بدايتهم بالذل بضم الذال يقال كما في المصباح

ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا بالفتح من باب ضرب والاسم الذل بالضم والمذلة بالكسر
والمذلة بالفتح اذا ضعف وهان فالذل ضد العز وقوله تعالى
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي كن كالمقهور لهما
وفي هذا الكلام ان الله تعالى حكم على قوم بذل الانفس
ذلا اورثهم خشيته وخوف عقابه حتى عزوا اي حتى وجد وه
خايفين وجلين فعزوا اي حصل لهم العز وصاروا من
ملوك الآخرة وفي الحكم تحقق باوصافك يمدك باوصافه
فافاد ان طريق السلوك الى الامداد باوصاف الحق تحقق
العبد باوصافه والذل من وصفه فالحق تعالى يتولى
تدريجه في ذلك بما يواجهه به من اقصاء الخلق وجفا . ئهم
له ليتاهل للاعتزاز بربه والياس من خلقته لان
تسلط الخلق على الاولياء في مبداء طريقتهم سنة الله
في احبابه واصفيائه وبذلك يتطهرون من البقايا .
وتتكمل فيهم المزايا فاذا تمت انوارهم وتطهرت من
البقايا اسرارهم حكمهم في العباد واذلهم لهم فيكون
العبد المجتبى سيفا من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه
وحكت عليهم بالفقد مفعوله محذوف اي فقد احوالهم
اي سلبها ونزعها عنهم فالولي المحبوب لله في ابتداء امره
قد يمتحنه الله تعالى بان يسلبه حاله اذا استحلاه ه
وركن اليه ويسلبه مقامه الذي وصل اليه في سيره وسلو كه
اذا فرح به ووقف فيه غير منتقل لمقام آخر من مقامات

السير

السير والترقي فسنة الله وعادته مع اوليائه ان من استحلى منهم
حالا وساكن مقاما شوش ذلك عليه وسلبه اياه لا على وجه
القطيعة والحرمان لذلك الولي بل غيرة من الله عليه لئلا
يمال لغيره او يتقيد بسواه فاذا فقده اي سلبه حاله ومقا مه
ازداد بسبب ذلك فقرا الى مولاه وتواضعا وفاقة ومعرفة
بعجزه وضعف نفسه وقال في نوادر الاصول عن ابي ذر ان
الله يقول يا جبريل انسخ من قلب عبدي المؤمن الحلاوة
التي كان يجدها فينسخها جبريل ويزيلها فيصير العبد
المؤمن والها طالبا للذي كان يعهد من نفسه اذ نزلت به
مصيبة لم ينزل مثلها به وهي فقد حاله وزواله فاذا
نظر الله اليه على تلك الحالة قال يا جبريل رد الى قلب
عبدي ما انتسخت منه فقد ابتليته فوجدته صادقا وا
مده من قبلي بزيادة انتهى ولما كان ورود العبد على الله
لا يصح بنفسه بعث له رسولا يقوده اليه وهو الوارد ومعنا ه
علم ينزل في القلب يحركه للانتقال عن حالته ان كان من الا لهيات
سمي معرفة وان كان من غيرها سمي باعثا وثمرته خوف
او رجاء حتى وجدوا مفعوله محذوف وهو غاية لمحذوف اي استمر
في مكابدة فقد حالهم وسلبه عنهم حتى تفضلت عليهم باعادته
عليهم مع زيادات تليق بفضلك فوجدوا في الدنيا حلاوة
ما كانوا فقدوه وفي الآخرة ثمرته فكان عزهم بسبب ذلهم .
وكان وجدهم لحلاوة ما رد عليهم بسبب صبرهم على

فقدهم فكان وجدهم الذي ادركوه هو الوجد الذي لا يجتبه
فقد وعزهم الذي انتهوا اليه هو العز الذي لا يجتبه ذل فعز
من تعزز بغيره غير محمود ووجد من وجد غيره وجد مفقود
فكل عز غير عزك يمنع دونك اي يمنع من الوصول اليك والقرب
منك لكونه عزا بالامور الفانية كالجاه والمال او يعتقد الخائفون
انه يمنعهم من الذلة اليك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف
رحمتك وهو الذل المكتسب من خشية الله تعالى وخوف عقابه
وقهر كبريائه وكل وجد يحجب عنك الوجد الظفر بحقيقة الشيء
والتمكن منه باي نوع كان من انواع الادراك وفي المختار ووجد
في المال وُجدا بضم الواو وفتحها وكسرها وجِدة بالكسر ايضا
اي استغنى انتهى والمراد بالوجد الوجود اي وكل وجود
يحجب عنك كوجود النفس والعمل والجاه وغير ذلك والمراد
بوجود ما ذكر الركون اليه والاعتماد عليه قال الراغب الوجود
اضرب وجود باحدى الحواس الخمس نحو وجدت زيدا ووجدت
طعمه وصوته وريحه وخشونته ووجود بقوة الشهوة نحو
وجدت الشبع ووجود بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط
ووجود بالعقل اي بواسطة العقل كمعرفة الله تعالى ومعرفة
النبوة وما نسب الى الله تعالى من الوجود نحو قوله تعالى
وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
فبمعنى العلم المجرد عن الحاسة بالجوارح والالات ويعبر عن
التمكن من الشيء بالوجود نحو اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

اي رايتموهم وقوله اني وجدت امراة تملكهم وقوله وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وجود بالبصر
والبصيرة وقوله ووجد الله عنده فوفاه حسابه وجود
بالبصيرة وقوله من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم
وقدرتكم ويعبر عن الغنى بالوجدان والجدة والمراد بالوجد
هنا ما يعتقد انه وجد من الاحوال التي تستحلى والمقامات
التي يسكن القلب اليها ووجد الدنيا ولذاتها من كل ما يحجب
عن الله تعالى فنسألك عوضه اي بدلا منه فقدا يكون
على الصفة المتقدمة وهو الذي تصحبه انوار محبتك اي محبة
الله عبده او محبة العبد ربه بالاضافة الى الفاعل او
المفعول اما محبة الله عبده فعبارة عن ارادة الاحسان
اليه مع تعظيمه وذلك بتمكينه من السعادة وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب اليه وافاضة رحمته عليه كما انه
رحمته له ارادة الانعام عليه فالرحمة اخص من الارادة
والمحبة اخص من الرحمة فارادة الله تعالى ان يوصل
الى العبد الثواب والانعام تسمى رحمة وارادته ان يخصه
بالقرب والاحوال العلية تسمى محبة وارادته سبحانه
من حيث هي صفة واحدة توجب تخصيص احد المقدورين
في احد الاوقات بالوقوع فبحسب تفاوت متعلقاتها
تختلف اسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا
تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها

تسمى محبة فمحبة الله تعالى للعبد ارادة ان يخصه بدرجة رفيعة
وقصارى ذلك كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه، وينظر
اليه ببصيرته، فيكونه كما في حديث فاذا احببته كنت سمعه
وبصره ولسانه، واما محبة خلقه له فعبارة عن معرفته
ودوام خشيته واشتغال القلب به، واتصافه بدوام
ذكره، ودوام الانس به، واتباع رسوله صلى الله عليه
وسلم في اقواله وافعاله واحواله وآدابه الا فيما خص به
هذا واذا لم يكن العبد مصحوبا بانوار المحبة كان طردا
عن باب الله وادبارا عنه وهو عين الشقاء والعياذ
بالله تعالى وكيف والعبد لا صبر له عن ربه، ولا براح له
عن بابه لغاية افتقاره، ونهاية اضطراره فانه قد ظهرت
السعادة على من احببته هذا مما يويد اضافة المحبة الى
الفاعل في قوله انوار محبتك والسعادة عبارة عن ارتفا ع
الموانع الشاغلة عن الله الحاجبة عنه فمن احبه الله
فقد سعد اذ لا مانع من سعادته اذا فسرت محبة الله
باحسانه لان من احسن الله اليه فقد ارتفعت عنه
الحجب والموانع لوجوب نفوذ ارادته تعالى وظهرت الشقاوة
على من غيرك ملكه الشقاوة هي حجب الطالب عن قصده و منعه
من الوصول الى متمناه، ولا شك ان من ملكه غير الله،
بغضه الله، والبغض ضد المحبة فاذا فسرت المحبة بارادة
الاحسان تعين ان البغض ارادة الانتقام، واذا حققت

الحزن

الامرين وجدت كل منهما اثارا فاثار السعادة وهو تسهيل الطاعة
والسعادة من لوازم المحبة وكذلك العكس ولما قدم هذه المقدمة
قال هب لنا من مواهب السعداء هي تيسير الطاعات وتسهيل
سبلها ولما كان احسان الله انما ينال بفضله كان من هباته
فحسن قوله من مواهب السعداء واعصمنا اي احفظنا من
موارد الاشقياء جمع مورد وهو محل الورود وذلك يتعين
ما ذكر ثم اشار الى الاعتراف بوصف العبودية فقال
اللهم انا قد عجزنا اى ضعفنا عن دفع الضر بضم الضاد كما هو
الرواية هنا ويجوز فتحها ففي المصباح الضر الفاقة والفقر
بضم الضاد اسم مصدر وبفتحها مصدر ضره يضره من باب
قتل اذا فعل به مكروها واضر به يتعدى بنفسه ثلاثيا وبا لبا
رباعيا قال الازهري كل ما كان سوء حال وفقر وشدة في بدنه
فهو ضر بالضم وما كان ضد النفع فهو بفتحها انتهى عن انفسنا
من حيث نعلم اى من الجهة التي نعلم دفعه منها كما ذكره
بقوله بما نعلم اي بالسبب الذي نعلم الدفع به فكيف لا نعجز
بكسر الجيم لانه من باب ضرب عن ذلك اى عن دفع الضر
من حيث لا نعلم بما لا نعلم اي بالسبب الذي لا نعلمه يريد
بهذا ان موارد الضرر واسبابه قسمان معلوم يمكن التحرز
منه كمخالفة الاوامر والنواهي ومجهول لا نعلم جهة التحرز
منه ولا كيف يدفع واذا عاجزون عن دفع ما هو معلوم
لنا ذاتا وسببا والعاجز عن دفع معلوم الذات والسبب

العجز عن دفع مجهولهما وكذا الشقاوة منها ما نعلم سببه وما لا نعلم
وما علمناه نحن عنه عاجزون لا يجوز من الله فنحن العجز عن
دفع سوابقها التي لا ندرك لها علامة ولا يطلع منها على امارة
وهذا الكلام استعذار لا شكوى لان الشكوى عند المحققين
خطيئة لكونه يشكو لسيده فعله وهو العليم الخبير بما ظهر
وما بطن وما كان ويكون وانما يذكر من يحتمل وينبه
من يجوز عليه الاهمال فخطاب العارفين لمولاهم كله
تضرع وتملق واستعذار واعتراف ولما ذكر السعادة
والشقاوة وآثارهما وانهما مسببان عن الطاعة والمعصية
ذكرهما يقتضي المدح والذم من الامر والنهي بقوله وقد امرتنا
اي بالطاعات ونهيتنا اي عن المعاصي والمدح والذم بالنصب
مفعول مقدم ولف ونشر مرتب الزمتنا اي قضيت وحكمت
علينا بهما فالمدح لمن وفقته لامتثال اوامرك واجتناب
نواهيك والذم لمن خذلته عن ذلك كما قال فاخو الصلاح ح
اي صاحبه وملازمه من اصلحته بالتوفيق لذلك واخو
الفساد اي ملازمه من اضللته ممن لم تسبق له سابق نسخة
توفيق والسعيد حقا اي الذي حقت سعادته وثبتت
اي الذي تكون له غاية السعادة من اعنته بفضلك
العظيم وكرمك الجسيم الكاشف عن حقائق توحيدك
عن السؤال اي الطلب منك بما اوليته من فضلك
حتى اكتفى بمحبتك واستغنى بما شاهدته فتصرف

في الوجود

في الوجود بذلك المطلق الغير المتوقف على سؤال وسياتي في آخر الحزب
واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم
خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك والشقي حقا اي
الذي حقت شقاوته وثبتت من اخرته بلا ذنب ويستعمل رباعيا
ايضا اي منعته اي من حق عليه القول بحرمان السعادة مع كثرة السؤال
لك اي سؤالها منك اذ لا يبدل القول لديه سبحانه بسؤال السائلين
لانه تعالى لم يجعله سببا للمحو والاثبات فنفوذ ارادتنا موقوف على
ارادته فاذا سبقت ارادته بعدم نفوذ ارادتنا فلا ارادة لنا ولا ينفع
سؤالنا اذ ذاك هذا ومدار السعادة التي تقتضي عدم الطلب والسؤال
على الجمع على الله والغيبة عن من سواه فيفنى العبد عن وجوده
ويبقى بربه فيشغله استغراقه في شهوده عن الشعور بغيره
ويمحي منه امل شيء يرجى او خوف شيء يتقى فليس له عن
سوى الحق اخبار ولا في غيره قرار فحينئذ لا يتصور منه سؤال
ولا فوات ما سوله انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته
كانت الاكوان معك نعم قد يتعرض هذا العارف للطلب
والدعاء على وجه اداء حق العبودية وامتثال الامر للدعاء واظهار
الفاقة والاحتياج الى الله وفي رسائل الشيخ ابن عباد ان
الوجه في وقوع الدعاء على وجه العبودية ان تكون في حال
دعائك طالبا منه شيئا رايت لك فيه مصلحة من غير ان تدعي
استغناء عن ذلك ولا سخاوة نفس ومن غير ان ترى
دعاءك سببا موجبا لحصول ذلك الشيء المطلوب دون الحكم

الازلي وهذا لا ينافي كونه راضيا مفوضا متوكلا كما لا ينافي ذلك
السبب والتكسب اذا كان بحيث لا يتغير قلبك ولا يضطرب
ولا يتشوش عند عدم اقتضاء سببك الى مطلبك انتهى
وعلى ما تقرر في السعادة فالشقاوة احتجاب العبد بوجوده
عن شهوده فلا ينفك عن امله ولا عن خوف عطب فيستحثه
الطبع للسؤال جلبا او دفعا وهو في ذلك في شقاء سواء اعطي
او منع لفقده قرة عينه او راحة قلبه لاسره لطبعه وتمكن بده
اسره وهلعه كما قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا
مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وفي المقام اشعار
بعظمة الربوبية وذلة العبودية مع الاكتفاء بعلم الله
والرجوع اليه بكل حال والتفويض اليه في الامور مع الثناء
عليه بكمال الصفات وكمال التوجه انما يكون بذلك فكل توجه
لا يشعر صاحبه بعظمة الربوبية وذلة العبودية فيه فهو
تداعيه وبذلك وقع الجواب عن عدم انتفاع كثير من الناس
بادعية واذكار صحيحة الاجابة مجربة عند اهل الصدق والا خلاص
قال الشيخ زروق فان قيل الدعا عبادة مامور بها لا يستغني
عنها احد فكيف قال الشيخ رضي الله عنه والسعيد حقا من
اغنيته عن السؤال منك قلت اذا غلب على العارف
ملاحظة الحقيقة وشهودها لم يتصور منه سؤال فمن اغناه
الله عن السؤال فذلك لغلبة الحقيقة عليه فلو غلب عليه
ملاحظة الشريعة فانه حينئذ يسال ويدعو امتثالا لما

اقتضته

اقتضته الشريعة من الامر بالدعا واظهار للعبودية والخضوع
ففي نوادر الاصول اهل اليقين قد يدعون ويلحون وهم
في ذلك ساكنون مطمئنون ينتظرون مشيئة الله فان اجا ب
قبلوا وان تاخر صبروا واحسنوا الظن قال الغزالي فان قيل
ما فائدة الدعا مع ان القضاء لا مرد له فاعلم ان من جملة
القضاء رد البلاء فالدعا سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما
ان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من
الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعا
والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ان من لا يحمل
السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا اسلحتهم فقدر الله
الامر وقدر سببه فاغننا بقطع الهمزة بفضلك الكائن
عن حقائق توحيدك عن سؤالنا منك هذا طلب من الله
تعالى ان يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يوليه
من فضله العظيم وكرمه الجسيم الكاشف عن حقائق
توحيده وهو غاية السعادة المشار له بقوله السابق
والسعيد حقا الخ ولا تحرمنا بضم تاء المضارعة وكسر الرا على انه
رباعي وبفتحها على انه ثلاثي من رحمتك احسانك او
ارادته على ان الرحمة صفة فعل او ذات بمعنى ارادة الخير
لعبده مع كثرة سؤالنا لك انك على كل شيء اي ممكن قدير
تام القدرة تعطي ما يسعده الفهم وما يجهله الوهم لا يقدر
على ذلك سواك ولما قال ولا تحرمنا من رحمتك ذكر ما يتو قع

مع الحرمان مع سرعة الاخذ والعذاب الشديد والعقوبة العظيمة
لكنه نبه على ذلك بصفات موقعها من الجبر والقهر بمنزلة
يا شديد البطش اي الاخذ بعنف يا جبار هو الذي ينفذ
مشيئته على سبيل الاجبار في كل احد ولا تنفذ فيه مشيئة
احد فلا يخرج احد عن قبضته فهو من الاجبار الذي هو
انفاذ الحكم وقيل انه من الجبر بمعنى تلافي الامر وتداركه عند
اختلاله او بمعنى اصلاح الشيء بضرب من القهر ولذا قيل
الجبار المصلح لامور العباد المتكفل بمصالحهم او هو حامل العباد
على ما شاء لا انفكاك لهم عما شاء يا قهار من القهر والقهار
الغالب الذي لا يغلب فمرجعه لصفة سلبية فعلية والقهر
لغة الغلبة ومن قهره تعالى جمعه بين الطبايع المتنافرة
واسكان الروح اللطيف النوراني في البدن الكثيف المظلم
ومن قهره تسخير الافلاك الدايرة ومنع العقول من
الوصول الى كنه حقيقته ولا يحيطون به علما وحظ العبد
من هذا الاسم قهر ما يجب قهره من نفس وشيطان وغيرهما
باسقاط التدبير والرجوع للواحد القهار وبالاستسلام م
في كل جليل وحقير يا حكيم اي ذا الحكمة وهي العلم بالاشيا
على ما هي عليه من الاتيان بالافعال على ما ينبغي او الحكيم
بمعنى المحكم للاشياء حتى صدرت محكمة على وفق علمه
وارادته وقضائه وقدرته من الاحكام وهو اتقان التدبير
واحسان التقدير ومن عرف انه الحكيم سبحانه لم يعترض

عليه بشيء ولم يتهم حكمه بشيء بل يرى كل افعاله جميلا بالنسبة
اليه وان كان فيها تفصيل بالنسبة الينا نعوذ بك من شر
اي فساد وسوء ما خلقت من المعاني كالكفر والعصيان ويصح
حمله على ما يعم الذوات ايضا ونعوذ بك من ظلمة ما ابدعت
اي خلقت لا على سبقة مثال والظلمة المخالفة وان كانت
لفظها يصلح لما هو اعم وقد افادت هذه الاستعاذة كشف
حقيقة الشر وانه ظلمة ونعوذ بك من كيد اي مكر النفوس
الشهوانية واثبت للنفوس كيدا ونسب لها قبحه ثم رجع
الى الحقيقة بقوله فيما قدرت واردت لان اضافة ذلك للنفس
من جهة الكسب وهو في الحقيقة بمقتضى الارادة الازلية
والقدرة القديمة ونعوذ بك من شر الحساد على ما انعمت
اي على انعامك فما مصدرية والحسد آفة عظيمة من نتايج
الحقد والحقد من نتايج الغضب فهو فرع فرع الغضب
والغضب اصل اصله وفي الخبر الحسد ياكل الحسنات كما
تاكل النار الحطب وهو من طبع البشر وكل احد يعرض له
منه شيء الا من عصم فاذا استحكم في القلب نشأ عنه
شر عظيم وهو الحامل لابليس على اخراج آدم من الجنة
ولقابيل ابن آدم على قتل اخيه قال الله تعالى واتل
عليهم نبأ ابني آدم بالحق الاية والمراد الاستعاذة
من السوء والآفات المرتبة على حسد الحاسدين ومن ذلك
عين العاين فان الحسد يقتضي التمني والانتقام من

بلغ

المحسود فان عجز الحاسد ان يتشفي منه بنفسه احب ان يتشفي
منه بتغير الزمان ونسالك عز الدنيا والآخرة كما سالكه نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم فورد في غير ما حديث سؤال العز والتعزز
من الذل رجاء طلب النصر والثنا على الله بكونه نصر عبده
واعز جنده ولا شك ان الله تعالى قد بلغ نبيه صلى الله
عليه وسلم من العز غاية الامل فمن عليه فرفع الحجاب عن قلبه
حتى شاهد كمال حضرته ورزقه القناعة حتى استغنى
عن ساير خلقه وامده بالنصر والتاييد وهذه صفته صلى
الله عليه وسلم وصفة من تبعه من المومنين قال الله
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقال وينصرك
الله نصرا عزيزا وفي نوادر الاصول على قدر تذلل العبد وتر
مسكنته تسكنه الله في جميع الاحوال بعظم الحظ من تلك
القوة والعزة انتهى وفي الحكم تحقق بوصفك يمدك بوصفه
وذلك ثمرة الايمان وفي كلام الشيخ رضي الله عنه سالت
استاذي عن قوله عليه السلام المومن لا يذل نفسه فقال
لهواه بل يذل لمولاه، قال المحشي واليه يرجع كلام صاحب
الحكم والله اعلم عز الدنيا بالايمان اي التصديق على الكمال
والمعرفة اي معرفة الله باسمايه وصفاته وهي تحقيق
العلم باثبات الوحدانية وبقا حياة القلب مع الله وبقا
نسيان غير الله، وقال القشيري المعرفة صفة من عرف
الحق سبحانه وتعالى باسمايه وصفاته، ثم صدق الله

في معاملاته، ثم تنقى من اخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال
بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل
اقباله، وصدق الله في جميع احواله، وقطع هواجس نفسه
ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غير الله، فاذا صار
العارف من الخلق اجنبيا، ومن آفات نفسه بريا، ومن
المساكنات والملاحظات الى ذلك نقيا، ودام في السر مع الله
مناجاته، وحق في كل لحظة اليه رجوعه، وصار محدثا اي ملهما
من قبل الحق بتعريف اسراره، فيما يجريه عليه من تصاريف
اقداره، سمي عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة
وبالجملة فبمقدار اجنبيته عن نفسه تحصل معرفته
بربه انتهى فهم لا يطلقون العارف الا على من تولى عليه
العلم بالله وصفاته، والنظر في مصنوعاته، وغلب عليه ذلك
بحيث صار حالا له حتى قالوا من عرف كل لسانه اي شغلته
معرفته به حتى ذكر غيره وعز الآخرة باللقاء هو النهوض
للقاء المحبوب، خاليا عن الذنوب والعيوب، وفي الحديث من
احب لقاء الله احب الله لقاءه اي من ولهت نفسه
بحصول الامتثال اظهر الله له منح الامتنان، واجزل له
مواهب الاحسان، قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية ارجعي الى ربك صورة
جذبه لعناية الربوبية راضية اي طايعة شوقا الى لقا
ربها مرضية في السير لربها باذلة نفسها في مشاهدة

لغايه طامعة لرفع الاثنينية في دوام الالتفات قيل لما قدم
الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم
قطعت اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه
من نزف الدم فاكب بوجهه على الدم السايل ولطخ
وجهه بدمه وانشاء يقول
الله يعلم ان الروح قد تلفت، شوقا اليك ولكني امنيها
ونظرة منك يا سولي ويا املي، اشهى الي من الدنيا وما فيها
يا قوم اني غريب في دياركم، سلمت روحي اليكم فاحكموا فيها
لم اسلم النفس للاسقام تتلفها، الا لعلمي ان الوصل يحييها
نفس المحب على الالام صابرة، لعل مسقمها يوما يداويها
ثم رفع راسه الى السماء وقال يا مولاي اني غريب في عبادك دك
وذكرك اغرب مني والغريب تالف الغريب انتهى والمشا هدة
تطلق على ثلاث معان على حقيقة اليقين وعلى روية الحق
في الاشيا كلها وعلى روية الاشيا بادلة التوحيد بمعنى
ان احدية كل موجود هي عين الدليل على احدية الحق
وهذا دليل على احديته لا على عينه قال الجنيد
هي وجود الحق مع فقدانك وفي الرسالة القشيرية المحاضرة
تكون ابتدا ثم المكاشفة ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور
القلب مع الحق تعالى بالبرهان والمكاشفة حضوره
اى القلب بنعت البيان التام بالبرهان غير مفتقر في هذه
الحالة الى تامل دليل والمشاهدة وجود الحق مع بقا

ثم

تهمة فصاحب المحاضرة مربوط باياته اي براهينه وخوارق عا داته،
وصاحب المكاشفة مبسوط بنعوته وصفاته، وصاحب
المشاهدة ملقى بذاته، اى لغايته عما سوى الحق وايضا
صاحب المحاضرة يهديه عقله اي بالنظر في الادلة وصاحب
المكاشفة يدنيه علمه بالحق وصفاته وصاحب المشاهدة
تمحوه معرفته انك سميع دعاء من دعاك اذ قد انكشف بصفة
سمعه تعالى كل موجود ومن عرف انه سميع راقبه في حر كاته
وسكناته ابدا قريب فلا مسافة تبعد عنك، ولا غيبة ولا
حجب تمنع منك مجيب تجيب الادعية ومن عرف انه المجيب
لم يزل داعيا فيما قل وجل ولم يسال شيا اعتمادا على
اجابته ورحمته والتقرب بهذا الاسم تعلقا ان لا تستعظم
ما تسال فانه تعالى اعظم وتخلقا ان تجيب من دعاك
في امر دينك ودنياك، ما سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيا فقال لا الحديث اللهم اني اقدم اليك بين يدي
كل نفس من انفاس المخلوقات والنفس بفتحتين الريح الدا خل
والخارج في البدن من الفم والمنخر وهو كالغذا للنفس اي
الروح ولحظة اي نظرة من لحظ البصر استدالى الشى وفي المصبا ح
لحظت الشى لحا من باب نفع نظرت اليه باختلاس البصر
والمحظه بالالف لغة ولحظته بالبصر صوبته اليه ولحظ البصر
استدالى الشى انتهى وطرفة اي وكل طرفة يطرف بها اهل
السموات واهل الارض من طرفات الطارفين يقال طرف

في معرض لم يسأل شيئا
الا المناداة
محمد
١٠-٩-١٣٨٠

البصر طرفا من باب ضرب تحرك والطرف تحريك الجفن يعبر به عن
النظر لان تحريك الجفن يلازمه النظر واراد بذلك التكثير حتى انه
يشير الى عدد انفاس المتنفسين، وطرفات الطارفين، ولمحات
اللامحين، ولهذا لم يستغن بالانفاس عن اللمحات والطرفات
مع اتحاد زمن الجميع وكل شيء بجر كل عطفا على كل قبله المجرور
باضافة يدي اليه اي واقدم اليك بين يدي كل شيء كذا ضبطه
سيدي عبد النور وجملة هو في علمك كاين في الحال اولا سنبناله
او قد كان فيما مضى صفة شيء واجمله لعجزه عن احصاه افرا ده
ولما قصد بقوله اقدم اليك مجرد ثبوت اصل الفعل من غير
تعلق بمفعول واتى به مجملا اكده مبينا له بقوله اقدم اليك
بين يدي ذلك كله الله لا اله الا هو الحي بمعنى اني اقر واعترف بتقدم
الوهيتك الموصوفة بالصفات المذكورة من الحياة وما بعدها مما
دلت عليه الاية الشريفة من الحياة وما بعدها على جميع ما ذكر
مما هو كاين او قد كان ومحصله الشهادة باوليته تعالى وازليته
وسبقيته على كل شيء من المكونات اذ كان الله ولا شيء معه
وليس معنى اقدم ما ذكر اجعله مقدما بل معناه اعتقده
واعلمه مقدما سابقا بجميع صفاته واسمايه وتقرير الكلام
على هذا الوجه ذكره صاحب نوادر الاصول ويصح حمله على
معنى تقديم الشفاعة اي اقدم اليك الشفاعة باية الكرسي
وما احتوت عليه من الاسرار اي اتوسل اليك بها لحمل الاية كلها
الى اخرها شفيعا لما تضمنته من عظمة الله وصفاته الجليلة

الجليلة التي وصف بها نفسه او بمعنى اقدم اليك بين يدي كذاتك
وصفاتك اي لا اقدم اليك شفيعا الا انت حتى لا يكون لي واسطة
في الاستشفاع غيرك كما في خبر ما تركت لنفسك يا ابا بكر قال
الله ورسوله كانه يقول لا اشاغل له عنكما غيركما وعلى كل من
الاحتمالين فجملتها في محل نصب مفعول لاقدم الاول واقدم الثاني في
تاكيد له وهي الله لا اله الا هو الحي الدايم البقاء الذي لا سبيل للموت
عليه القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دايم القيام بتدبير
الخلق وحفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من
الفتور والنوم حالة تعرض للانسان من استرخا اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة فتقف الحواس الظاهرة عن الا حساس
له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزا بهما
الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما
من العقلاء وغيرهم فهو ابلغ من له السموات والارض وما
فيهن من ذا الذي استفهام انكاري اي لا احد يشفع عنده
فيمن اراد تعالى عقوبته الا باذنه له فيها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس او امور
الدنيا وامور الاخرة والضمير لما في السموات والارض بتغليب
ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا
الذي من الانبياء والملايكة عليهم السلام ولا يحيطون
بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء اي يعلمهم

به منهما باخبار الرسل وسع كرسيه السموات والارض اي
شملهما واحاط بهما والكرسي جسم عظيم من لؤلؤة بيضا
وهو تحت العرش وفوق السماء السابعة وفي الحديث
ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت
في ترس وما السموات السبع والارضون السبع والكرسي
في العرش الا كدراهم سبعة القيت في ترس ولا يؤده
يثقله حفظهما اي السموات والارض وفي المصباح اده
يؤده اودا من باب قال اثقله فاناد وزان انفعل اي تثقل
به انثنى وهو العلي فوق خلقه بالقهر المتعالي بذاته عن
الاشباه والانداد الذي يصغر عند ذكر وصفه كل شيء
سواه العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما عداه ولا
نسبة لاحد معه في علو شانه وجلاله قدره ذاتا
وصفات واسماء وافعالا ومن علم انه العلي العظيم الزم
التعظيم والاجلال قلبه وانصبغت به روحه وانبسط
به سره فلا يبقى له سوى ثم هو العلي في عظمته فوق كل
عظمة لغيره والعظيم في علوه عن كل علو لا يليق بذاته
فهما اسمان متداخلان يسري معنى كل منهما في الآخر
بارتفاع الوصف الى غاية ما اريد به وقد ذكر الشيخ سيد ى
زروق رضي الله عنه انه قيل لبعض الناس في المنام كل
اسم سرى معناه في الاسماء فهو الاعظم قال وذلك في الاسماء
الحسنى سبعة او ثمانية منها العظيم وليس منها الرحيم

قلت

قلت وعلى ذلك دلت الاحاديث اذ لا يوجد ما جاء فيه انه الاسم
الاعظم الا كذلك مع اختلاف الالفاظ وتعدد الاسماء والاو صاف
فاسمه تعالى العلي العظيم ساريان في اسمه العليم والحليم لانه
علي بما في علمه وحلمه عظيم في ذلك كله ولاجل سريانهما في كل
معنى تعلق بالذات والصفات والافعال جعلا خاتمة اية
الكرسي التي افتتاحها اسماء الذات ثم جوامع الصفات
ثم ما يجري في الافعال ويجري به فافهم انتهى هذا وكما
ترى من انطوا هذه الاية الكريمة على امهات المسائل الا لهية
المتعلقة بالذات العلية الجليلة فانها ناطقة بانه تعالى
موجود متفرد بالالوهية متصف بالحياة واجب الوجود
لذاته موجد لغيره وكما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره
منزه عن التحيز والحلول مبرء عن التغير لا مناسبة بينه
وبين الاشباح، ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح،
مالك الملك والملكوت، ومبدع الاصول والفروع، ذو
البطش الشديد، لا يشفع عنده الا من اذن له في ذلك عا لم
بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك
والقدرة لكل من شانه ان يملك لا يشق عليه شاق، ولا
يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام، عظيم
لا تحيط به الافهام، تفردت بفضائل رائقة، وخواص
فائقة، خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان
اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله

الله له ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من
تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام ما قريت هذه
الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها
ساحر ولا ساحرة اربعين يوما ليلة يا علي علمها ولدك
واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله
عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا
صديق او عابد ومن قراها اذا دخل مضجعه امنه الله تعالى
نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلاة
والسلام سيد البشر ادم وسيد العرب محمد صلى الله عليه
وسلم ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد
الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة
وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد
البقرة اية الكرسي اقسمت عليك اي سالتك والاقسام
لا يستعمل في السوال الا مستعرا بالاستشفاع وحينئذ
فيتعدى بعلى فان استعمل في اليمين المطلق تعدى بالباء
وقد ورد في حديث انه عليه السلام علم الناس الدعا فقال
اللهم اني اقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة قال عز
الدين فان صح فينبغي ان يكون مقصورا عليه لانه سيد
ولد ادم ولا يقسم على الله بغيره وقال البرزلي وكان
شيخنا الفقيه يعني ابن عرفة يختار الجواز ويحتج بسوال

عمر

عمر بالعباس في قضية الاستسقاء وبقول العبد الذي استسقى
بالبصرة بجاهك لي الا ما سقيتنا الساعة قال الخطاب انما هذا
توسل وهو غير القسم قال المحشي ولعل موضوع الخلاف
بينهما بعد اتفاقهما على حمل القسم في الحديث على التوسل كما
ورد في طريق اخر اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي
الرحمة انه هل يجوز التوسل بغير النبي اولا فاجازه ابن عرفة
لقضية الاستسقا وغيرها ومنعه ابن عبد السلام واما
القسم فلا يجوز بحاله بغير الله اي انه يكره خلافا لابن حنبل
ومن تبعه ويشهد لما ذكرناه من ان الخلاف انما هو في التوسل
بغير النبي لا في القسم ما وقع في المعيار من الجواب لابي القاسم
العبدوسي بعد ذكره انه لا ينتفع بالميت في الزيارة قال لكن
هل يتوسل به الى الله فيقال بحق هذا الصالح افعل لي كذا
وانما يعتقد ان البقعة بقعة مباركة يدعو الله فيها من غير
توسل وهذا هو الذي عليه عمل الشيوخ انتهى وعلى التوسل
يحمل ما في الرسالة القشيرية عن معروف الكرخي رضي الله
عنه من كانت له الى الله حاجة فليقسم عليه بي وكذا ما وجد
بخط سيدي ابي العباس المرسي عن شيخه الشاذلي انه
كان يقول له اذا عرضت لك الى الله حاجة فاقسم عليه
بي وكل ذلك بمعنى التوسل انتهى وقد نقل في القوت
في اخر كتاب المحبة حين تكلم على الخلة عن الجنيد ان العبد
في هذا المقام يعلم ان الله يحبه ويقول العبد بحقي عليك وبجا هي

(١) وهؤلاء الخ
(٢) هذه الحكاية في ... قالة ابي السعود ... رحمه الله ... ١٢٨٠-٩- ... الرداب

عندك او يقول بحبك لي قال وهؤلاء متدللون على الله عز وجل ومستأ نسون
به وهم جلساء الله عز وجل وقد رفع الحشمة بينه وبينهم وزالت
الوحشة بينهم وبينه وعلموا ان الله يحبهم وان لهم عنده جا ها
ومنزلة فضلا منه تعالى وفرط كرم اوكما قال وهذا خارج
عن الفتوى لا يعرفه غير اهله وبالجملة لا يكون الدلال ولا
القسم الا عن استغراق واستهلاك في الحقيقة بحيث يكونه
صاحب تلك الحالة مترجما عن ربه بربه وليس لغيره ذلك
الا على سبيل التلاوة والاكار والحكاية عنه والله اعلم وفي المصبا ح
ودلت المراة دللا ودلالا من بابي تعب وضرب وتدللت تدللا
والاسم الدلال بالفتح وهو جراتها في تكسر وتغنج كانها مخالفة
وليس بها خلاف انتهى هذا وقد حمل المحشي قول الشيخ
رضي الله عنه هنا اقسمت عليك على انه من القسم بصفات
الله على الحقيقة قال وهو خاص بالمحبوبين المتدللين على الله
كما يشير اليه حديث ان من عباد الله من لو اقسم على الله لا بره
ببسط يديك هو كناية عن جوده وكثرة انعامه كما في قوله تعالى
بل يداه مبسوطتان وفي الحديث يا باسط اليدين بالرحمة
وبسط اليدين تصوير لغاية الكرم ومبالغة في الوصف
بالجود وغاية البذل من السخي ان يعطي بيديه جميعا وهذا
الاطلاق معلوم من الشرع من قوله تعالى بل يداه مبسوطتا ن
الاية ومن قوله في الحديث يا باسط اليدين بالرحمة وغير ذلك والتنز يه
ونفي التشبيه معلوم ثم يبقى بعد ذلك اما التفويض وهو

مذهب

مذهب السلف واما التاويل وهو مذهب امام الحرمين والخلف
وعليه فاطلاق بسط اليدين تصوير لغاية الكرم ومبالغة
في الوصف بالجود وتثنية اليد لافادة الكثرة اذ غاية البذل في ا لسخي
ان يعطي بيديه جميعا وكرم وجهك اي جمالك وكمالك ووجهه
تعالى ما تعرف به من تجليه الذاتي لخواص عباده وبنور عينك
هذا عبارة عن ادراك البصر وكمال انكشاف المرئيات له تعالى
وبه يعلم ان كونه بصيرا زائدا على كونه عليما او هو عبارة عن
الكلاءة والحفظ كما قال تعالى ولتصنع على عيني اي على رعا يتي
وحفظي وفي الحديث اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام وفي
حزب البحر وعين الله ناظرة الينا قال الشيخ سيدي احمد
زروق عين الله رحمته وافضاله ونظرها توجيهها والروا ية
هنا بافراد عين لا بتثنيتها وان جات العين في الشرع مفردة
قال الله تعالى ولتصنع على عيني اي بمراى مني لان العين
الجارحة لا يجوز وصفه تعالى بها ومثناة في قوله عليه السلام
اذا قام العبد الى الصلاة فانه بين عيني الرحمن ومجموعة
في قوله تعالى فانك باعيننا خلافا لما ذهب اليه بعضهم
من انها لم ترد مثناة وبكمال اعينك فسر المحلي قوله تعالى
تجري باعيننا على معنى بمراى منا اي محفوظة وقيل باوليا ئنا
قال المحشي والقسم على الاول على حقيقته واما على الثاني
فاما ان يحمل على التوسل كما تقدم او يقال انما وقع القسم
هنا بكمالهم وهو ما انكشف لبصائرهم من جمال الحق وقدس

كماله ووصفهم البشري مغمور مغطى بذلك ان تعطينا خيرما نفذت
به مشيئتك اي خير الذي نفذت على ان ما موصولة او خير شيء
نفذت على انها نكرة موصوفة وفي المصباح نفذ السهم نفوذا من
باب قعد ونفاذا خرق الرمية وخرج منها وانفذته بالالف
وامره نافذ اي مطاع ونفذ قوله نفوذا قبل ومضى انتهى وخير
يحتمل انه اسم تفضيل ويحتمل انه مصدر وعلى الاول يراد
به الايمان اذ لا افضل منه في جميع ما نفذت به المشيئة وعلى
الثاني فاضافته بيانية اي الخير الذي نفذت به مشيئتك ويراد
به الثواب الناشئ عن اعمال البر وخيرما تعلقت به قدرتك
من جميع الممكنات وخيرما احاط به علمك العلم متعلق بكل شيء
على سبيل الاحاطة واكفنا شرما اي شيء او الذي هو ضد
لذلك اضافة شربانية وفيه ايما الى ان الله تعالى هو الذي
يتولى عبده في جميع اموره حتى يكون قايما بتدبيره وساعيا
لشؤنه ومعتنيا به في تحصيل خيوره ودفع شروره واكمل دينك
كمال الدين يستلزم صحته فاذا حصل حصلت الصحة والكمال
بزيادة الرسوخ فيه وبالتمكن من معرفة السلوك الى الله
المعبر عنه عند القوم بالشريعة ومن دوام النظر اليه سبحانه
المعبر عنه لديهم بالحقيقة ومن سلوك طريق الشريعة وهو
المعبر عنه بالطريقة وحاصله ان الشريعة ان تعبده وا الحقيقة
ان تشهده والطريقة ان تقصده واتمم علينا نعمتك تمام
النعمة مسبب عن كمال الدين فاذا كمل دين المرء تمت النعمة

عليه والمراد بها جنس النعم وهذا المطلب ماخوذ من قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي واتى به رجا حصول
المنة به كما من به على المخاطبين بالاية الماخوذ منها واتمام النعمة
بادامتها واتصالها بنعيم الجنة فلا يعتريها نقص ولا نفاد وهب
لنا حكمة اي فايدة الحكمة اي العلم وفايدة العلم العمل ووصف
الحكمة بالبالغة لانها التي لا يصحبها نقص ولا خلل والحكمة البالغة
العلم المودي الى العمل والاصابة في الامور مع الحياة الطيبة
بالرضى عن الله او القناعة او الرزق الحلال او ما هو اعم حتى
يصدق بخشية الله وسقوط الخوف ممن سواه وبوجود الكفاية
وتحقق الخلافة باعطاء الكرامات والتمكين في الارض على حسب
المراتب والموتة الحسنة هي المصحوبة بالتجلي اي التي ينكشف
في وقتها للعبد مشاهدة الاحسان فيكون في غاية السرور ولهذا
يظهر عليه الضحك والاستبشار والتبسم وتولى قبض ارواحنا حنا
بيدك اي اظهر عند قبض ارواحنا علامات رضاك عنا
واقبالك علينا وشرف عنايتك بنا وفي الخبر من واظب على
قراة اية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى
قبض روحه ذو الجلال والاكرام سبحانه والمراد بذلك
خطفها بالتجلي واستغراقها في الشهود واستهلاكها في الحب
واستيصالها بالغيبة وسلب الشعور بالغير وفي ذلك غاية ية
منيتها وامنيتها وحل بيننا وبين غيرك بالغيبة عن
الوجود والاستغراق في نور الشهود في البرزخ هو لغة الحاجز

بين الشيئين وهو هنا عبارة عما بين الدنيا والآخرة وهو منزلة الارواح والحمد صح
والقبر منزلة الاشباح، والاغيار التي طلب الحيلولة بينه وبينها في البر زخ
هي شواغل الارواح المعروضة علي اماكنها المعدة لها وذلك انما
يكون لمن حقت عليه كلمة العذاب وظهرت عليه مقدماتها وفيما
قبله من مدة الدنيا والاغيار التي طلب الحيلولة بينه وبينها
في الدنيا هي صوارف العبد في دار التكليف عن ما كلفه به وفيما
بعده وهو مواطن القيامة والاغيار التي طلب الحيلولة بينه
وبينها فيها هي العظايم والاهوال التي تصيب الناس هناك
ولاشك ان من حيل بينه وبين الاغيار في المواطن الثلاثة كان
من السعداء ولاجل كون الشواغل التي تظهر في البرزخ اعظم
الشواغل قدمه في الذكر بنور ذاتك يعني بظهورها للبصاير ويمكن
سرها من الذوات الكوامل وذلك ينفي الشعور بالاثنينية
ويصح ان يراد بنور ذاته تعالى رحمته وعظيم قدرتك
لان الرحمة مصروفة الي الارادة وتقدم ما بين الارادة والقد ره
من الارتباط وجميل فضلك هذا تحقيق للمتبري من استحقا ق
شيء من الله تعالى وانما الكل من محض فضله وخالص منه
وطوله انك علي كل شيء قدير هذا كالتاكيد للمعنى الحاصل
له علي سوال ما سأل يا الله يا علي هو الذي فوق خلقه
بالقهر والغلبة وحظ العبد منه التجافي عن اسافل الامور
والتلبس بمعاليها وخاصيته ان يكتب ويعلق علي الغريب
فيجتمع شمله وعلي الفقير فيجد الغنى يا عظيم هو الذي يحتقر

عند ذكره وصفه كل شيء وخاصيته وجود العزة والبرء من المرض
لمن يكثر ذكره ولم يكن حضر اجله يا حليم هو الذي لا يعجل
العقوبة لعاص قبل وقتها المقدر فمرجعه للتنزيه عن
العجلة مع كمال الاقتدار قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم
ما ترك عليها من دابة يا حكيم اي يا ذا الحكمة والاتقان للمصنوعا ت
يا كريم ذو الجود او المقتدر على الجود ومرجعهما للفعل والقدره
وقيل معناه العلي الرتبة فيرجع لصفة اضافية وقيل غفار
الذنوب وعلي انه صفة اضافية اقتصر الشيخ زروق فقا ل
هو الرفيع القدر الكبير الشان ثم قال وهو تعالى كريم
ذاتا ووصفا وفعلا ومن عرف انه الكريم صفة لم يحب
سواه ومن عرف انه الكريم فعلا لم يطلب من غيره ولم
يذكره معه والتقرب به تعلقا ان تجعل حوايجك كلها وقفا
عليه، ووجهك دايما متوجها اليه، وجوارحك عاملة لما
لديه، قال في الحكم لا تتعد همتك الي غيره فالكريم لا تتخطاه
الامال هذا والعرب تطلق الكريم على كل ما تكثر منافعه
يقال كتاب كريم اذا كان كثير الفوايد ووجه كريم اذا كان
حسن المنظر وارض كريمة اذا كانت كثيرة الخصب واما
في حق الله تعالى فهو الجواد الكثير الاحسان الذي يعطي
بلا سوال يا سميع هو الذي لا يغيب عن سمعه مسموع يا قريب
اي بعلمه فهو العالم بظواهر الامور وبواطنها وهو الذي لا مسا فة
تبعد عنه ولا حجب تمنعه يا مجيب دعا الداعين يا ودود

هو الذي يحب الخير لعباده فيحسن لهم وهو قريب من معنى الرحيم
حل بيننا وبين فتنة الدنيا الاضافة بمعنى في ودخل فيها سا بر
الفتن وفتنة النساء خصصهن بالذكر تنبيها على ان فتنتهن
من اعظم الفتن الدنيوية والغفلة والشهوة كالسببين بتسبب
عنهما ما قبلهما لفا ونشرا مرتبا وظلم العباد مما يتسبب عن
الشهوة ايضا فيكون معطوفا عليها ويحتمل عطفه على النسا
فيكون مدخول فتنة وهو يصلح ان يكون من اضافة المصدر
الى الفاعل او المفعول وسوء الخلق اي حل بيننا وبينه لانه ن
ليس من سجايا اهل الايمان وفي الحديث لما خلق الله الايما ن
قال اللهم قوني فقواه بالكرم وحسن الخلق ولما خلق الله
الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق واغفر لنا
ذنوبنا صغارها وكبارها مما ارتكبناه بسبب ما ذكر واقض
بوصل الهمزة عنا تبعاتنا جمع تبعة وزان كلمة وهي ما يتبع
به الانسان اي يطلب به من حقوق الادميين وانما تعرض
لهذا لان ما بين العبد وربه تطلب فيه المغفرة وترجى وتبعا ت
الخلق لا يتركها الله تعالى لكن من سبقت له سابقة الخير ادى
الله عنه تلك التبعات وعفى خاف عليك حسن هذا السيا ق
اذ طلب اولا الحيلولة بينه وبين ما ذكر وطلب اخرا غفران
ما قد ينشأ عن ذلك مما عسى ان يكون قد وقع قبل سؤال
الحيلولة وان لم يجب دعوته واكشف عنا السوء فيه اتهام العبد
نفسه بالسوء وهو داب العارفين ومن لم يتهم نفسه على

دوام

دوام الاوقات فهو مغرور والسوء ظلمة الخذلان وضده نور التوفيق
وقيل السوء غلبة الشهوة ونجنا من الغم الهم والكرب واجعل
لنا منه مخرجا اي خروجا والمراد به غم القلوب وغوايل
الذنوب وبه فسر قوله تعالى ونجيناه من الغم وقيل
من ظلمة الليل والبحر وظلمة بحر الحوت انك على كل شيء
قدير تقرير لاختصاصه تعالى بايجاد مطالبه المسؤلة
فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ عنه من ملكوته
شيء من الاشياء يستدعي كونها سواء كاينا ما كان مقدورا
له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان
يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء
فضلا عن المشاركة في ملكوت السموات والارض يا الله يا الله
يا الله تكريره الاسم الاعظم ثلاثا اما اعتبارا باستغراقه
فيه بجسمه وقلبه وروحه او اعتبارا لطلب ذلك في الظاهر
والباطن وفيهما او اعتبارا بالحال والماضي والاستقبال
مع اظهار غاية الالتجاء والاضطرار يا لطيف هو الخفي عن
الادراك العالم بالخفيات ودقايق المصالح وغوامضها
ويسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون
العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك
كمل معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل
الا لله وحده يا رزاق يمد كل كاين بما يحفظ به صورته
ومادته فامداد الاجسام بالاغذية والعقول بالعلم

والقلوب بالفهم والارواح بالتجليات وهو خالق الارزاق وموصلها الى المرتز قين
للتمتع بها والرزق رزقان ظاهر لظاهر وهو الاقوات للابدان وباطن لباطن
وهو المعارف والاسرار للقلوب والله تعالى خالق الرزقين وموصلهما
الى كلا الفريقين ، ولكنه يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يا قوي قال
في المواقف هو القادر وقال الشيخ زروق هو الذي لا يلحقه ضعف
ذاتا وصفة وفعلا يا عزيز هو المتعزز او الرفيع او النفيس او العديم
النظير او القاهر لجميع الممكنات وفسره امام الحرمين بالغالب قال
بعضهم ويكنى به عن التمكن من امضاء الاحكام باقتضاء القدرة
واحاطة العلم بحكم الترتيب على مقتضى اسم الملك فهو اسم جامع
لمعنى العزة قال الشيخ زروق ظهور عزته للقلوب يقتضي وجود
الخضوع منها له والهيبة والاجلال والتعظيم فذلك عز الابد
ثم قال والتعرب بهذا الاسم في التمسك بمعناه وذلك رفع الهمة
عن الخلايق قال الشيخ المرسي والله ما رايت العز الا في رفع الهمة
عن المخلوقين وخاصيته وجود الغنى والعز فمن ذكره اربعين
يوما في كل يوم اربعين مرة اغناه الله واعزه ولم يحوجه لاحد
ولبعض المشايخ ان العزيز هو الخطير الذي يقل نظيره وتشتد
الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه ، فمن لم تجتمع له هذه المعاني
الثلاثة فليس بعزيز فما قل نظيره ولم يعظم خطره او لم يكثر
نفعه لا يسمى عزيزا وقد يكثر نفع الشي ويقل او لا يوجد نظيره ٥
ولا يسمى عزيزا اذا لم يصعب الوصول اليه كالشمس مثلا فانها قد
عدم نظيرها وكذا الارض والنفع عظيم بكليهما والحاجة اليهما شديدة

ولا

ولا يوصفان بالعزة حيث لم يصعب الوصول الى مشاهدتهما لك مقاليد
السموات والارض اي مفاتيح خزاينهما جمع اقليد وهو المفتاح وفي
المصباح والاقليد المفتاح لغة يمانية وقيل معرب واصله بالرومية
اقليدس والجمع اقاليد ومقاليد والمقاليد الخزاين ايضا انتهى
تبسط اي توسع الرزق لمن اي على من تشا وتقدر بكسر الدال
اي تضيقه على من تشاء وفي المصباح وقدر الله الرزق من بابي
ضرب وقتل ضيقه انتهى ومن هذه صفته فلا ارادة لاحد معه
فليس القبض والبسط الا بيده وهو الجدير بانه يسال فلذلك
ساله احد المعذ ورين بقوله فابسط لنا من الرزق ما توصلنا
به اي بسببه الى رحمتك لا يقال بسط الرزق من الرحمة فكيف
يسال منه ما يكون سببا فيها لانا نقول بسط الرزق قد يكون
سببا للرحمة وللنقمة وليس كله رحمة وكانه يقول ابسط
لنا رزقا حلالا واعنا على انفاقه في طاعتك كي يكون سببا في الوصول
الى رحمتك وابسط لنا من رحمتك ما نحول به بيننا وبين نقمتك
ولما كانت الرحمة قد تصل الى المرحوم وفي طلبها نقمة حسن
سوالها بهذا القيد وابسط لنا من حلمك ما يسعنا اي يدركنا
او يصل الينا به اي بسببه عفوك وانما فسرنا يسعنا بيدركنا
او يصل الينا لان عفو الله متصف بالسعة والبسط في نفسه
لكنه لا يدرك الا من سبقت له سابقة العناية لان العفو محو
الجناية ولذلك لا ينال الكافر عاجلا ولا اجلا بخلاف الرحمة لقوله
تعالى ورحمتي وسعت كل شي اي حتى المسلم والكافر وا لمطيع

داء اثبت المرحوم العاهر ربه
انه بقول الروم عرت بالعجمة
انه بقول العرب داء غالب
كلمات الروم ما اصلها عربي دخل
هذا لفظه اقليدس هي عربية
دورت لاوروبية عربت
١٢٨٠-٩-١١
محمد داود

والعاصي اذ الكل متقلب في رحمة نعم الله علينا واختم لنا
بالسعادة اي الايمان التي ختمت بها لاوليآئك خواص عباد ك
وقوله التي ختمت بها لاوليآئك يدل على ان السعادة قد
تحصل لغير الاولياء ولينظر ما المراد بهم هل كل من آمن
او خواص عباد الله والظاهر انه اراد الثاني والسعادة في حقهم
اعلى منصبا منها في حق الآخرين اذ شتان بين من هي في حقه
امان من كدورات الاهوال يوم القيامة جملة وتفصيلا
وبين من هي في حقه امان من الخلود لا غير واجعل خير
ايامنا واسعدها يوم لقائك هذا كالتفسير للسعادة اذ كل
من كملت له السعادة كان يوم لقاء مولاه خير ايامه والمراد
باللقاء المواجهة والاجتماع ومعنى هذا في حق الله تعالى به
روية ذاته العلية وسماع كلامه الذي هو الصفة النفسية
فكانه قال واجعل خير ايامنا يوما نلقاك فيه اي نراك
ونسمع كلامك فيه وزحزحنا ابعدنا في الدنيا عن نار الشهوات
فان من زحزح في الدنيا عن نار الشهوات زحزح عن نار
جهنم في الآخرة وادخلنا بفضلك في ميادين الرحمة جمع
ميدان وهو مجال الخيل استعير هنا لمحل التعطفات
والعطايا وافاضة الخير على المحتاجين وذلك المراد
بالرحمة واكسنا من نورك جلابيب اي استار
العصمة لا شك ان الوجود الفايض على الاشياء كلها نور
من انوار الباري تعالى فبانوار ذلك الوجود تضمحل

ظلمات

ظلمات العدم او ما هو منزل منزلة العدم لانتفآء ثمرته واذا
كان النور سببا في انكشاف الظلمة وانكشاف الظلمة سببا
في سلوك طريق الاستقامة اذ لا موجب للخروج عنها
وهي من لوازم العصمة كان ذلك من باب التعبير بالملزو م
عن لازمه لان الانسان اذا كسي جلباب العصمة سترت
عنه طرق المعاصي لان حجب العصمة حائلة بينه وبينها
فلا يسلك الا سبيل الطاعة واجعل لنا ظهيرا معينا على
طاعتك من عقولنا فان من كان له من عقله معين اعا نة
نشأت عن نظر كانت آراؤه ناجحة والعقل قوة مهيأة
لادراك الكليات بالذات والجزئيات بواسطة الآلات
ومهيمنا من ارواحنا اي حافظا فكل حافظ للشيء اذا
كان مشرفا على حقيقته وكنهه فهو مهيمن عليه والاشراف
يرجع للعلم والاستيلاء بالقدرة والحفظ والمعنى اكشف
عن بصائرنا ما ندرك به حقائق احوالنا حتى نكون عليها
مشرفين مستولين مراقبين فانه العبد اذا اشرف على
حاله وسره واستولى مع ذلك على تقويم اوصافه ودام
يحفظها على الدوام فهو مهيمن بالاضافة الى قلبه وسخرا
من انفسنا بكسر الخاء المشددة اي باعثا على الطاعة من
التسخير وهو ايصال الشيء الى الغرض المختص به قهرا
فالمسخر هو المقتضي للفعل قاله الراغب في مفرداته ومنه
سخرت الانسان اي كلفته خدمتك وتسخر الشيء في اللغة

«حائلة» ١١٠ م

وجوده او حقيقته يقال نفس الجوهر ونفس العوض ونفس
العلم ونفس الجهل اي حقيقة كل منها وعند الصوفية هو
ما كان معلولا من اوصاف العبد ومذموما من افعاله وا خلاقه
وكثيرا ما يعبرون بها عن مبدأ الصفات المذمومة ولذلك
جعلت اعدى اعداء الانسان لصعوبة الخلاص من شرها
الا ترى ان الانسان اذا صالح ساير الاعداء امن من شرهم
وان صالح نفسه اهلكته ولذلك كان جهادها الجهاد
الاكبر كما في الحديث كي نسبحك اي لاجل ان نسبحك تسبيحا
كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا فان من بسط له من الرزق ما يوصله
الي الرحمة الى آخر ما تقدم توفرت دواعيه فتحثه على
كثرة التسبيح والذكر الواسع الفسيح، واتى الشيخ رضي
الله عنه بهذه الاية للتبرك لان موسى عليه السلام كان
سال ربه معينا لنفسه على طاعته وجعل سواله علة
في التسبيح والذكر الكثير فاجيب بقد اوتيت سؤلك
يا موسى وبما بعده من الامتنان وحيث سال الشيخ
من ربه معينا قرن ذلك بالاية رجاء ان يولي سوله
كما اوتيه موسى عليه السلام انك كنت بنا بصيرا عالما
في زمن لا نتصور فيه منا طاعة ولا نستحق جزاء فكيف
ونحن الان ندعوك ونرجوك فكانه يقول اذا كان حفظك
محفوفا بنا قبل قدرتنا على طاعتك واستمر سلسلا علينا
الي الان فكيف نخاف غيرك ولا نطمع ان نكون تحت تطولك

وفي كنفك بعد انقطاعنا اليك وهب لنا مشاهدة لذاتك
العلية نصحبها اي نقترن بها مكالمة لك وتقدم معنى
المشاهدة وهو انها اما حقيقة اليقين او رؤية الحق
في الاشياء كلها او رؤية الاشيا بادلة التوحيد وتحصل
معناها فيض نور الجلاله والجمال على القلب فيرى ببصيرته
حقايق الموجودات ودقايقها بلا توهيم ولا تلبيس
واما المكالمة فهي خطاب الحق للعارفين من عالم الملك
والشهادة فهي الالهامات التي تلقى في قلوبهم وقال
الشيخ زروق المكالمة عند القوم مخاطبة عوالمهم اللطيفة
التي لا يتطرق اليها الغلط ولا يدخلها الشك والتردد لشاهد
الحال ودوام التجربة مع موافقة اصل الشرع انتهى فهي
من معنى الالهام بانه يقع في نفس العارف وقوعا لا يمكن
تكذيبه ولا يصح رده ولا يصحبه هوى ما يثلج به الصدر
وينشرح له القلب من المعاني والاحكام وهي دون المشاهدة
عندهم اذ هي عبارة عن خطاب الحق للعارفين من عالم
الملكوت والاسرار انتهى وفي تفسير الورتجي اذا اراد الله
ان يسمع كلامه احدا من الانبياء والاولياء يعطيه سمعا
من اسماعه فيسمع به كلامه كما حكى عليه السلام عن
الله تعالى اذ قال فاذا احببته كنت سمعه الحديث
وقد نبه الحاتمي رضي الله عنه على نكتة ينبغي الحرص عليها
اذ قال اعلم ان كل ولي لله تعالى فانما ياخذ ما ياخذ من

المعارف والعلوم بواسطة روحانية النبي صلى الله عليه وسلم
فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه ويقول قال الله لي
وليس غير تلك الروحانية اهـ ومن معناه قول الشيخ المرسي
رضي الله عنه الولي انما يكاشف بالمثال يعني كما يرى مثال البدر
في الماء وبواسطته وكذلك الحقائق الغيبية والامور الشهادية
مجلوة وظاهرة في بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم ولديه عيا نا
لا مثالا والولي لقربه منه ومناسبته لهديه ومتابعته
يكاشف بمثال ذلك فيه فظهر الفرق وثبتت مزية النبي
صلى الله عليه وسلم وانتفى اللبس بين النبوة والولاية
وصح ما اطبق عليه الاولياء من المحادثة والمكالمة وقولهم
قيل لي ونوديت في سري واذا احطت بهذا كله علما تحققت
وساطة النبي صلى الله عليه وسلم وبرزخيته على الاطلاق
في الغيب والشهادة وذلك معلوم لاهل الله ذوقا ومتحقق
لديهم والله اعلم هذا وانما طلب الشيخ رضي الله عنه مصا حبة
المكالمة للمشاهدة لعزازة ذلك واختصاصه باهل الكمال
من الاولياء والغالب من احوال الاولياء انفراد احدهما او نعا فيهما
كما هو مشهور من احوال الفقرا بالاستقرا وقد قال تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان قيل جنة المشاهدة وجنة
المكالمة في الدنيا ومرجع ذلك لفتح عيني الحقيقة والشريعة
وافتح اسماعنا وابصارنا فتح السمع والبصر عبارة عما يلوح
للبصيرة من الانوار الربانية وتسمى اللوائح والطوالع واللوا مع

وهي

وهي ما يفتح الله به على ارباب السلوك من المقامات التي يرو رون
بنوع كمالها كالزهد والتوكل والرضى والتسليم والمحبة وهي
صفات اصحاب البدايات الصاعدين في الترقي بالقلب **واذكرنا
اذا غفلنا** بفتح الغين من باب قعد **عنك باحسن مما تذكرنا
به** ونون احسن مفتوحة لمنعه من الصرف للوصفية ووزن
الفعل مع كونه ليس مضافا لما بعده والمعنى باحسن ذكر
كاين من الذكر الذي تذكرنا به **اذا ذكرناك** من الطاف الله
سبحانه ان يذكر بعض عباده حال غفلتهم باحسن ما يذكر
به ذاكريه لعناية سبقت ومن خصايص ذكر العبد لربه ان
يجازي بذكر الله له قال تعالى فاذكروني اذكركم اي اثني عليكم
في الملأ الاعلى وفي خبر ان جبريل عليه السلام قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول اعطيت امتك ما لم
اعط امة من الامم فقال وما ذاك يا جبريل قال قول الله
تعالى فاذكروني اذكركم فانه لم يقله لاحد غير هذه الامة
قاله شيخ الاسلام زكريا وهذا في حق من احب ربه وتوالى
ذكره على قلبه حتى احبه ربه والعارف محب والمحبة اما لتوالي
النعم واما لكمال المعرفة بالجلال والجمال وغيرهما من صفات
الكمال فالعبد بها مقرب وهذه محبة العارفين **وارحمنا اذا
عصيناك باتم مما ترحمنا به اذا اطعناك** وميم اتم مفتو حة
نظير ما تقدم والمعنى وارحمنا في حال عصياننا باتم مما اي
برحمة هي اتم واكمل من الرحمات التي ترحمنا بها في حال طا عتنا

ومن كلام الشيخ رضي الله عنه ماسالت الله شيأ الا قدمت اساتي
بين يدي انتهى وذلك ليكون طالبا لفضله بفضله لا باستحقاقه ف
وذلك للتحقق بالغني به تعالى والياس من غيره وهو سبحانه
وتعالى كفيل بالاجابة ولما كان ذكره لنا ورحمته تعالى ايانا غير
مستلزم محو الذنب والاثام اذ يرحم عبده سبحانه ويذكره
مع قيام صورة الذنب بالخ بان سال كمال الصفح بمحو صور الذ لزب
حتى تنسى ولا تشاهد لها صورة فقال واغفر لنا ذنوبنا
ما تقدم منها وما تاخر للذنب حالة تحقق وهو ما تقدم
وحالة امكان وهو ما عسى أن يقع وجعلها في حكم الموجود
الواقع فطلب مغفرتها تركا لتزكية النفس وحملا لها على سوء
الظن بها والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك
لطف الله بالعباد بره ورفقه بهم في هدايتهم وعصمته لهم
والحجاب عن غير الله بانوار العصمة وعن الله بظلمات الخذلان
فالطلق اللطف مرادا به العصمة مجازا من اطلاق السبب على
مسببه على ان السكون الى اللطف حجابه ايضا عن اللطيف
والشان الغيبة عن اللطف في اللطف بشهود اللطيف كما ان
الشان في النعمة ان تكون غايبا فيها عنها بشهود المنعم
فانك بكل شيء عليم لما كان اللطف العلم بدقايق المصالح
وغوامضها ناسب ذكر العليم دون اللطيف الخبير اللهم
اجعل لنا لسانا رطبا اي لينا سهلا بذكرك لانه حياة
قلوب العارفين وهو اقرب الطرق الى الله عز وجل بدليل

قوله

قوله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند
مليككم وخير لكم من انفاق الذهب والورق قالوا وما ذاك
يا رسول الله قال ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا
مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول
الله قال حلق الذكر واتاه رجل فقال يا رسول الله ان شرايع يح
الاسلام قد كثرت فدلني على اقرب الطرق الى الله فقال له لا يزال
لسانك رطبا بذكر الله ولا شك ان من وفقه الله لذكره فقد
اعطاه منشور الولاية واستعمله راية دين الاسلام كما قيل
الذكر اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الانفاس حراسا
والقلب افضل بيت فيه تذكره فكن له في جنان القلب غراسا
وقد قيل ان كل بيت لا بد له من باب ومن قفل ومفتاح فباب
القلب الفهم وقفله الجهل ومفتاحه الذكر اي ذكر اللسان ومنه
تصح البداية للمريد ففتح الباب والفتح لا بد منه للداخل فذكر الله
يدخل الذاكر في السعداء ويخرجه من الاشقياء قال تعالى
لنبيه موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام يا موسى
ذكري رحمة لعبادي ورحمتي لا يصح معها عذابي وفي الخبر
اذا احب الله عبدا اصطفاه لذكره فاذا ذكره صار من اهل
حضرته والله تعالى يتجلى لاهل حضرته في كل يوم مائة وستين
مرة يعطيهم في كل تجل خلعة من الكرامة والمحبة والقربة
والالفة والخشية والوقار والسكينة والرضى والتسليم والمعر فة
بقدر ما قسم لكل واحد في ازله ويكفي في ذلك قوله تعالى

فيما حكاه نبينا عليه السلام انه تعالى يقول من شغله ذكري عن
مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين هذا وفي كلام الشيخ
زروق ذكر الغفلة هو ذكر اللسان وذكر اليقظة هو ذكر الامر
والنهي وذكر الحضور هو ارجاع كل شيء الى الله وذكر الغيبة
عن السوى هو روية قيام كل شيء به وافتقار كل شيء اليه
وهو الغنى الاكبر ومنتهاه تغريق الكل في بحر التوحيد حتى يصير
الوجود عينا واحدا في عين الناظر اليه انتهى على ان الذكر
باللسان افضل منه بالقلب عند قوم اذا سلم من عوارض الرياء
ونسالك قلبا منعما بشكرك الشكر عند القوم من مقامات
المحبين وهو روية النعمة من المنعم وكانه يقول وقلبا يرى
كل نعمة من الله ففي بعض الاثار الاسرائيليات ان موسى عليه
السلام قال يا رب خلقت ادم بيدك، ونفخت فيه من روحك،
واسكنته جنتك، واسجدت له ملائكتك، وعلمته اسماء كل
شيء، وفعلت وفعلت فكيف يلحق شكرك، فقال الله عز وجل
عرف ان ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكرا لي ولذلك
قال الهروي في منازل السائرين الشكر اسم لمعرفة النعمة
لانها السبيل الى معرفة المنعم وحقيقة الشكر من العبد
ظهور اثر النعمة على لسانه ثناء واعترافا وعلى قلبه شهودا
ومعرفة وعلى جوارحه انقيادا وطاعة وبالجملة ان في باطن
الجسم من النعم سبعة اضعاف ما في ظاهره وان في القلب
من النعم اضعاف ما في كله وان نعم الايمان بالله تعالى والعلم

واليقين

١١ كلمة العز واصحها عندي هذا قبل هذه الكلمة ربما بعدها لانه قيام كل شيء به وافتقار كل شيء اليه امر واضح كل الوضوح ... ... كل الوجود عينا واحدة ... ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
محمد مراد ١١-٩-١٢٨٠

واليقين اضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم منا عفة
على نعم مترادفة لا يحصيها الا من انعم بها ولا يعلمها الا من
خلقها الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ونسالك بدنا
هينا منقادا لينا سهلا بطاعتك اي فيها وقد سئل النبي
صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه ما يتخذ ذخيرة فقال اتخذ
لسانا رطبا بذكر الله وقلبا شاكرا وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن
هين لين كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ
فاذا كان للانسان بدن هين لين للطاعة كان له عليها معينا قال
الشيخ زروق هذه الثلاثة يعني المطلوبة في كلام الشيخ اخذا من
الحديث المذكور هي اصول الكرامات فيثمر ذكره تعالى ثلاثا تنوير
القلب وتحقيق المعرفة واتساع الحال ويثمر الشكر ثلاثا طيب
الحياة بالرضى والمزيد في النعمة ودوام العوافي فيما انت فيه
ويثمر لزوم الطاعة ثلاثا حلاوة المناجاة ودوام العز بالله
في جميع الحالات، والنجاة من العلل والافات انتهى واعطنا
بقطع الهمزة مع ذلك الذي طلبناه من اللسان الرطب وما
بعده ما لا عين رات اي الذي لم تره عين وعين فاعل فعل
محذوف يفسره المذكور وكذا يقال في قوله ولا اذن بضمتين
او بضم فسكون سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك
الذي ساله ووصفه بانه لم تره عين الخ هو نعيم الجنة
لان مواهب الجنة لم تنطبع في اعين اهل الدنيا ولا في قلوبهم
ولا احاطوا بها على وجه التفصيل سمعهم واشار بقوله

كما اخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم اي الحديث الشريف
وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد قيل في ثمار الجنة ان
لذتها لم تخطر على قلب بشر قط في الدنيا ولم يدرك منها
الا التسميات قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل اي اذا راوها قالوا هذه ثمارنا التي عهدناها في الدنيا
فاذا اكلوها حصلت لهم لذات غير معهودة وانما يجيء لهم بها في الصور
المعهودة لهم في الدنيا لا لتهم لها بخلاف ما لم يعهده الانسان ولم
يالفه فربما عافه وتغير منه كما في حديث الضب انه لم يكن بارض
قومي فاجدني اعافه حسبما علمته بحسبك بفتح السين وسكونها
كما في القاموس وهو بمعنى القدر وهو معمول لقوله كما اخبر به
رسولك اي ما اخبر صلى الله عليه وسلم الا بما هو في علمك وعلى
حسبه وقدره لم يزد عليه ولم ينقص واغننا بقطع الهمزة
بلا سبب منا والمراد به روية الوسايط اذ النظر الى السبب
غفلة عن خالق السبب وتقدم قوله والغنى بك حتى لا نشهد
الا اياك وما هنا كما قال المحشي اخص لانه طلب لتلقي الغنى
من حضرة الحق بلا واسطة وليس المراد طلب ان يقطع الله
عنه اسباب الغنى وانما طلب ان لا يشغله بسبب الغنى ولا
يلزم من عدم اشتغاله بالسبب عدم حصوله بسبب من الله
تعالى ولهذا سال ان يجعله سببا في الامداد بالغنى لساير الاوليا
على ما هو شان القطب من كونه مظهر الحق من خلقه ومرات

تجليه

تجليه وهو لذلك في الكون بمنزلة انسان العين عليه المدار ومن
فيض نوره تستمد جميع الاسرار وقد كان رضي الله عنه شهير
بذلك بين الاولياء فقال واجعلنا سبب الغنى لاوليائك
جمع ولي وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان
المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك
في اللذات والشهوات المباحات فتولى الله سبحانه امره فلم
يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة وتولى هو عبادة الله وطاعته
فيجري ذلك منه على التوالي من غير ان يتخلله عصيان ولا
نقصان واعلم ان الناس في القرب من الله تعالى اي في منزلة هدة
قربه منهم بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاث مراتب
المرتبة الاولى موقف اهلها شهود شريعته فهم يشهدون
ما في التكليف من تحمل الاثقال فتطول عليهم المسافة ويبعد
عليهم الوصول وهم وان كانوا ذوي حظ من القرب والخصو صبة
لكن غيرهم اكمل منهم لانهم يثبتون انفسهم ويشاهدونها
ويشهدون الاعمال منها المرتبة الثانية موقف اهلها شهود
ذاته المطهرة منهم يشهدون ما يجري على ايديهم من الطاعات
من الله تفضلا ويرى الواحد ضعف نفسه وعدم حوله وقوته
فيمده الله تعالى بالعون ويشهد الهدايا من الله اليه وصاحب
هذه المرتبة وان كان اكمل ممن قبله فغيره اكمل منه لانه مثبت هد
لنفسه حيث راى الهداية من الله اليها وان كان لا يشهد
الاعمال منها فقد بقيت فيه بقية المرتبة الثالثة موقف

اهلها شهود روحه وهم اهل الفناء التام فهم يشهدون ما من الله
الى الله فهم بالله ولي الله فتحققت بهم نصرته هكذا قرروه
قلت وحاصل الفرق بين الثلاثة قوة التعظيم الناشية
عن كثرة المعرفة فان لاهل شهود الروح من المعرفة ما ليس
لاهل شهود الذات فلهم من التعظيم ما ليس لغيرهم وهكذا
اهل شهود الذات مع اهل شهود الشريعة وبقدر ما يدخل
في القلب من التعظيم والحرمة تنبعث الجوارح للخدمة و تعظم
نصرة الله لعبده على كل شيء حتى تنفعل له المكونات وتطيعه
الاشياء وتكون ارادته تابعة لارادة الله وتكون النصرة له
وبه لغيره من المريدين والاخوان ومن يحتاج اليها وتلك مرتبة
الخلافة وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض فيصير الفقير منهم غنيا والخايف آمنا والذليل عزيزا
والضعيف قويا واجعلنا برزخا بينهم اي الاوليا والمراد بهم
هنا مطلق المومنين وبين اعدايك البرزخ الحاجز ويكون
حسيا يدرك بالعيان وقد يكون معنويا بقدرة القادر الحكيم
كالحاجز بين البحرين وبين الماء والزيت وكالحاجز المانع للاعداء
عن الاوليا حيث منعهم الله من تسلطهم مع تمام قوتهم
عددا وعددا وما لا على الاوليا مع غاية ضعفهم بحسب الظاهر
فالمعنى اللهم اجعلنا حاجزا لاعدايك وما نعا من تسلط
انفسهم واهوايهم وشياطينهم وساير قواطعهم على المومنين
وذلك بقوة ربانية وبصيرة نورانية كما هو شان اهل

التمكين

التمكين والرسوخ في الهداية وهو مرتبة اهل الامانة ومقام اهل
الارشاد والهداية ومحل الحفظ والرعاية اما للكافة وهي
رتبة القطب او للبعض وهي رتبة من دونه من الخلفاء
والامناء واهل الغنى بالله رضي الله عنهم وقد قالوا
ليس الرجل من كمل في نفسه بل من كمل به غيره ولا من
زال الخوف عنه في نفسه ولكن من زال به الخوف عن غيره
وقد ورد هم القوم لا يشقى جليسهم وقد قيل ان لله
رجالا اذا نظروا الى المرء اكسبوه سعادة وهذا هو المعبر
عنه بالبرزخ فالمراد به المعنوي لا الحسي فان الله تعالى
يدفع البلايا بوجود الاوليا فحجزا بيننا وبين الاعداء وما
يقتضيه كلام الشيخ رضي الله عنه من سواله ان يجعل ممن
يذهب بسببه عن الاوليا ما عسى ان يخشوه حتى يكون
فوق مرتبتهم فيدفعه ان مضمون الكلام واجعلنا
وقاية لاوليايك من مكر اعدايك كما هو شان المحبين
لاكابر المشايخ ورؤسايهم كما كان الصحابة رضي الله
عنهم يقولون بابي انت وامي يا رسول الله وقال حسان
ابن ثابت من قصيدة

فان ابي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

ومن كلام الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه

انا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

وقال ايضا رضي الله عنه

انا قطب اقطاب الوجود حقيقة، على سائر الاقطاب قولي وحرمتي
توسل بنا في كل هول وشدة، اغثك في الاشيا طرا بهمتي
وقال الشيخ زروق رضي الله عنه
فارفع تذ[ا]ن اخفض رتبة، وارفع مقدارا بارفع حكمة،
واعزل اقوالهم اولي سوهم، واعلي منار البعض فوق المنصة
الى ان قال، فان كنت في كرب وضيق وشدة، فناد يا زروق اتي
بسرعة انك على كل شيء قدير فتقدر على جميع مطالبنا بقدرتك
التامة النافذة اللهم انا نسالك ايمانا دايما يستغرق مدة
الحياة الدنيا فان من خرج من الدنيا مومنا امن من ضد ايمانه
لان المرء يبعث على ما مات عليه ولا نفع لايمان ينقطع بضده
وقال الحكيم الترمذي الدوام على وجهين وجه ان يدوم له
توحيده حتى يختم له بذلك فلا يسلبه فيلقى ربه بايمانه
فيدوم له ذلك ابدا والاخر ان يكون له يقين تصير به اموره
على المعاينة ولا ينقطع ذكر الله عن قلبه على كل حال وهذا
الدعا خاتمة دعا الفرج الذي رواه جعفر الصادق رضي الله
عنه عن اسلافه الكرام مرفوعا وقال في نوادر الاصول بسنده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتاه جبريل فبينما
هو عنده اذ اقبل ابو ذر فنظر اليه جبريل فقال هو ابو ذر فقلت
يا امين الله وتعرفون انتم ابا ذر قال نعم والذي بعثك
بالحق ان ابا ذر اعرف في السما منه في الارض وانما ذلك لدعا
يدعو به كل يوم مرتين تعجبت الملايكة منه فادعه فاسأله

عن

عن دعايه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر دعا
تدعو به كل يوم مرتين قال نعم فداك ابي وامي يا رسول
الله ما سمعته من بشر وانما هو عشرة احرف الهمني ربي
اياها الهاما وانا ادعو به كل يوم مرتين استقبل القبلة
فاسبح الله مليا واحمده مليا واهلله مليا واكبره مليا ثم
ادعو بتلك العشر كلمات، اللهم اني اسالك ايمانا دايما واسالك
قلبا خاشعا، واسالك علما نافعا، واسالك يقينا صادقا
واسالك دينا قيما، واسالك العافية من كل بلية، واسالك
تمام العافية، واسالك دوام العافية، واسالك الشكر على
العافية، واسالك الغنى عن الناس، فقال جبريل يا محمد
والذي بعثك بالحق لا يدعو احد من امتك بهذا الدعا الا غفرت
له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعدد تراب الارض ولا
يموت احد من امتك وفي قلبه هذا الدعا الا اشتاقت الجنان
اليه، واستغفر له الملكان وفتحت له ابواب الجنة فنادت
الملايكة يا ولي الله ادخل من اي باب شئت قاله الحكيم
الترمذي ونسالك قلبا خاشعا اي خاضعا وهو الذي
ماتت شهواته فذلت النفس لله وخشع القلب بما طالع
من جلال الله وعظمته والخاشع الثابت الخوف من الله
وهذا كذكر السبب بعد المسبب لان ثبوت الخوف ورسوخه
يستلزم دوامه ودوامه يستلزم دوام الايمان
ونسالك علما نافعا في العقبى والعاجلة وهو ما ثبت

للعالم ثمرته وثمرة العلم العمل ولما سئل الجنيد رضي الله
عنه عن العلم النافع قال ان تعرف ربك ولا تعدو قدرك قلت
وذلك راجع الى معنى العبودية التي هي مشاهدة الربوبية
وهي ان تكون عبده بكل حال كما انه ربك بكل حال ونسألك
يقينا صادقا اليقين راجع الى توالي العلم بالمعلوم حتى يغلب
على القلب كالعلم الضروري وقال الجنيد اليقين هو استقرار
العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب واليقين اساس
الايمان وقال ابن مسعود اليقين الايمان كله وهو اعلى درجات
العلم ولذلك حده بعضهم بالمكاشفة التي لا احتمال
معها ووصفه لليقين بكونه صادقا تجوز لان الصدق من
صفات صاحب اليقين فيكون من باب ربحت تجارتهم ونسألك
دينا قيما الدين الخضوع لله بامره ونهيه والسير في الشريعة
على الاستقامة هو الدين القيم اي المستقيم كما قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فامروا بعبادة
الله فيحلوا ما احله ويحرموا ما حرمه ويؤدوا الفرايض ويجتنبوا
المساخط وهذا ادنى الدين القيم واعلاه ان يدين لله ولا يلتفت
الى احد سواه فيكون ثقته وملجاه ومفزعه ولا يطمئن الى احد
سواه فيكون هو متعلق قلبه وهذا اعلى الدين القيم ونسألك
العافية من كل بلية من بلايا الدنيا والآخرة والبلايا كما في نوادر
الاصول على ثلاثة اضرب منها تعجيل عقوبة للعبد ومنها

امتحان

امتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته اين هو من ربه
ومنها كرامته ليزداد عنده كرامة وقربا وقد سال العافية من
ذلك كله والعافية ان يكون في كل وجه من هذه الوجوه اذا
حل به شيء من ذلك انه لا يكله الى نفسه ولا يخذله وان
يكلأه ويرعاه في كل هذه الوجوه هذا وجه والوجه الآخر
انه يساله ان يعافيه من كل شيء ومن كل شدة فان الشدة
انما يحل اكثرها من اجل الذنوب فكانه ساله ان يعافيه
من البلايا ويعفو عنه الذنوب التي من اجلها تحل الشدة
بالنفس فقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم وقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون
العذاب الاكبر ونسألك تمام العافية بان تكون عافيتنا
لا يشوب فيها قال الشيخ زروق العافية خلو القلب عن الانزعاج
والاضطراب والتقلب ثم ان كان بالسكون الى الله والرضى
عنه فهي العافية الكاملة وان كان بجريان الاسباب الموافقة
فهي العافية العادية ومحصله ان العافية الكاملة هي
سكون القلب الى الله تعالى باليقين الموجب للرضى
والتسليم ولذا سالها الشيخ رضي الله عنه على التمام
ولما كانت بعد التمام قد يحدث سلبها ساله دوامها بقوله
ونسألك دوام العافية بان تدوم ولا تنقطع ونسألك
الشكر على العافية لان الشكر به تتقيد النعمة ويحصل مزيدها
لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فان قيل قد تقدم سؤاله

الغني بلا سبب والشكر على العافية سبب في الزيادة قلت السبب
الذي تبرا منه اولاهو الذي ليس بعبادة في نفسه ونسالك الغني
عن الناس بالاستغناء بك فان فيه الخروج من الرق الى الحرية
وليس هذا مكررا مع قوله واغننا بلا سبب لان ذلك ضد الفقر
وهذا ضد الافتقار ولم ينبه احد من الشراح على ان هذا الدعا
يكرر ثلاثا عند قراة هذا الحزب وانما الذي تقدم في الحديث ان
ابا ذر كان يقروه ثلاث مرات كل يوم لكن قد جرت عادة الناس
بتكريره ثلاثا ولا باس به لان التكرير ثلاثا قد عهد في الشرع
في امور كثيرة اللهم انا نسالك التوبة الكاملة هي النصوح
المستجمعة لشرايط الصحة والكمال والتوبة لغة الرجوع وقيل
من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله فهو تايب ومن رجع
عنها حياء من نظر الله فهو منيب ومن رجع عنها تعظيما
لجلال الله فهو اواب ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعني انه كان يترك
المعاصي تعظيما لجلال الله اي فهو اواب حتى انه لو فرض انه
لم يتوعد عليها بالعذاب لم يعص قال القرافي عن الشيخ عز
الدين بن عبد السلام المسبب الواحد اذا كان له سبب واحد
لزم انتفاؤه عند انتفاء سببه وان كان له سببان او ثلاثة كما
هنا لم يلزم من انتفاء احد سببيه او اسبابه انتفاؤه لانه
يثبت مع السبب الاخر وترك المعاصي من هذا القبيل فان
له ثلاثة اسباب خوف العقاب والحياء من الله واجلال الله

يقال تاب واناب واب بمعنى واحد وهو مطلق الرجوع صح

وتعظيمه

وتعظيمه فاذا انتفى خوف العقاب لم ينتف ترك المعاصي بل
يحصل ويثبت مرتبا على السبب الثاني وهو الحياء من الله
او الثالث وهو اجلال الله تعالى يعني ان صهيبا كان لا يعصي
الله على كل حال حتى لو انتفى منه خوف العقاب لم يعص
لاجل الحياء من الله او لاجل اجلال الله وتعظيمه مع انه
قد اجتمع فيه الاسباب الثلاثة والتوبة في الاصطلاح الر جوع
عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود فيه قال الجنيد للتوبة
ثلاثة اركان الندم على ما فات والعزم على ترك المعاودة
والسعي في تلافي ما يمكن تلافيه من حقوق الله المفروضة
وحقوق الناس فان لم يمكنه فالعزم على الوفاء والدعاء
للخصوم والتوبة ثلاثة اقسام توبة العامة من الذنوب
وتوبة الخاصة من الغفلة عن الله وتوبة خاصة الخاصة
من الاشتغال بما سوى الله وفي الحكم معصية اورثت
ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا وقال
علي رضي الله عنه سيئة تسوءك خير من حسنة تسرك
وهذا كله تحذير من العجب بالطاعة والسمعة بها فمن سلم من
ذلك فهو داخل في قوله صلى الله عليه وسلم من سائته سيئته
وسرته حسنته فهو المومن وقد عد في منازل السايرين شرايط
التوبة فقال هي ثلاثة اشيا الندم والاعتذار والاقلاع قال
شارحه اما الندم فهو من افعال القلب واما الاعتذار فهو من
افعال اللسان واما الاقلاع فهو من افعال الجوارح وفي بعض

الا ان المذنب اذا قال يا رب انت الذي قضيت وقدرت على الذنب
بقوله الله تعالى وانا الذي اغفر الذنوب جميعا ولا ابالي واذا
عمل العبد حسنة فقال يا رب انا الذي اطعتك يقول الله تعالى
وانا الذي وفقتك واذا قال يا رب وانت الذي وفقتني للطاعة
يقول الله عز وجل وانت عملتها واجرها لك وهو قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخا سرين
وهذه الاية هي التي تلقاها ادم من ربه والمغفرة الشاملة
اي المستغرقة لجميع الذنوب والمحبة الجامعة في الرسالة القشيرية
المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد واخبر عن محبته
للعبد ومحبة العبد له بقوله فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه فالحق سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف
بانه يحب الحق فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص
عليه كحفظه وتقريبه له وعداوته لمن عاداه مثلا كما ان رحمته
ارادة مطلق الانعام عليه فالرحمة اخص من مطلق الارادة
والمحبة اخص من الرحمة فارادة الله تعالى ان يوصل الى
العبد الثواب والانعام تسمى رحمة وارادته ان يخصه
بالقرب والاحوال العلية تسمى محبة فارادته سبحانه صفة
واحدة وبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف اسماؤها فاذا
تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم
تسمى رحمة وبخصوصها تسمى محبة اي محبة الله لعبده
ارادته ان يخصه بدرجة رفيعة واما محبة العبد لله وهي

المرادة

المرادة هنا فهي حالة يجدها العبد من قلبه يستدل عليها بانا رها
لا بلفظ لانها تلطف عن العبارة تحمله تلك الحالة على التعظيم
وايثار رضاه وقلة الصبر عنه ولذلك قال بعضهم فيها هي
الميل الدائم بالقلب الهائم الذي لا قرار له وفي لطائف
المنن للشيخ ابن عطاء الله اعلم ان المحبة هي اجل مقامات
اليقين حتى اختلف اهل الله ايهما اتم مقام المحبة او
مقام الرضى وان كان الذي نقول به ان مقام الرضى
اتم لان المحبة ربما حكم سلطانها على المحب بوجود الشغف
فيؤديه ذلك الى طلب ما لا يليق بمقامه الا ترى ان المحب
يريد دوام شهود الحبيب والراضي عن الله راض عنه اشهده
ام حجبه وصله ام قطعه اذ ليس هو مع ما يريد بل مع ما يريد
الله له المحب طالب لدوام مراسلة الحبيب والراضي لا طلب
له ولنا في هذا المعنى

وكنت قديما اطلب الوصل منهم
فلما اتاني العلم وارتفع الجهل

تيقنت ان العبد لا طلب له
فان قربوا فضل وان بعدوا عدل

وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم
وان ستروا فالستر من اجلهم يحلو

ومعنى الجامعة المفيدة للجمع وهو عند اهل التصوف ماخوذ
من جمع الهمة على الحق تعالى قال الاستاذ ابو علي الدقا ق

المفرق ما نسب اليك والجمع ما سلب عنك، ومعناه ان ما يكون كسب
للعبد من اقامة العبودية، وما يليق باحوال البشرية، فهو
فرق وما يكون من قبل الحق من ابدا معان، واسدا لطائف
واحسان، فهو جمع قال القشيري هذا ادنى احوالهم في الجمع
والفرق لانه اي ادنى احوالهم كاين في شهود الافعال فمن
اشهده الحق افعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف
بالتفرقة بين العابد والمعبود ومن اشهده الحق سبحانه
ما يوليه من افعال نفسه فهو عبد يشاهد الجمع فاثبات
احوال الخلق من باب التفرقة واثبات احوال الحق من نعت الجمع
فقوله اياك نعبد اشارة الى الفرق وقوله واياك نستعين
اشارة الى الجمع اي المقتضي للتبري من الحول والقوة الا بالحق
فاذا خاطب العبد الحق بلسان نجواه سايلا او داعيا او مثنيا
او متفضلا او مبتهلا قام في محل التفرقة اي وان راى
ذلك من فضل ربه لكونه يرى نفسه سايلا وداعيا
وغير ذلك وان اصغى سره الى ما يناجيه مولاه واستمع
بقلبه ما يخاطبه فهو يشاهد الجمع لما غلب على قلبه من
فعل ربه به، وكونه محلا لجريان لطفه به، ولكونه المحبة
تقتضي المعية والوصلة كما للقشيري عن سمنون انه
كان يقول ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والاخرة
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من احب
فهم مع الله تعالى كما ان الله تعالى معهم قال تعالى انه

الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والمعية مؤذنة بالتفرقة
والبينونة ووصف الشيخ رضي الله عنه المحبة بالجامعة بمعنى
السالبة للتفرقة حتى يرى المحب بها الحق بلا خلق مما هو
من حقيقة الجمع كما سبق والخلة الصافية الخلة بفتح الخاء
وضم الصداقة وصفاء المودة وتمكن المحبة في القلب بالتودد
والموانسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظا هر
الباطن واصل الخلة الذي هو منشاؤها واساسها المحبة لانها
تكون بعد تحققها ومعناها الاسعاف والالطاف اي الاعانة
والنصرة والامداد بكل مراد تنبيه الفرق بين المحبة
والخلة والمودة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان
حسن صورة او كمال كمحبة العلماء الصلحاء او انتفاع وانعام
لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة
من يحبه بالتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة
وبهذا تكون الخلة اخص من المحبة فتكون افضل وقد قالوا
ان المحبة افضل قلت وعموم المحبة من حيث انها تكون
من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها لكن المحبة قد تصل الى
مرتبة بحيث لا يغيب الحبيب عن فكر المحبوب ولا عن ذكره طو فة
عين حتى تصل الى الهيام وذهاب العقل فتبذل لها الاروا ح
فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا ويلزمها النحول والذ بول
قال الشبلي المحب اذا سكت هلك لان راحته انما هي في ذكر
محبوبه فلولا توالي ذكره على قلبه ولسانه لهلك والحاصل

ان شغلك بالله عن غيرك من المخلوقين وانت مدرك لسلوكك
سكره وشغلك به عن غيره حتى تنسك سكرة اعظم من
تلك وهي محبة العارفين وتلك محبة العابدين والزاهدين
الا ان العشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا تقول عشقته
الله كما لابن القيم وغيره وكان منعه من حيث ان العشق
يتضمن ان لا يخلو فكر المحب من تخيل المحبوب والمعرفة الواسعة
اي التي تشرف في القلوب وتنورها والانوار الساطعة
هي التي تسعى بين ايدي المومنين يوم القيامة او هي عبارة
عن الهداية وقوة الايمان والشفاعة القايمة اي التامة من
قام الشيء اذا تم ومنه قد قامت الصلاة اي تمت سال
الله تعالى ان يشفعه في غيره شفاعة تامة لان قام ياتي
في لسان العرب بمعنى تم وياتي ايضا بمعنى الدوام ومنه
قامت الحرب والسوق اي دامتا والحجة البالغة اي المقبولة
التي لا يحتج بها دحض فان بلاغة الكلام قوة معناه ومطا
لمقتضى الحال مع فصاحته ولا شك ان الحجة اذا كانت
بهذه الصفة قبلت والمجت واكتسبت المحتج بها شرفا ولعلها
المحتاج اليها عند تنازع الشياطين او سوال القبر ونحو ذلك
والدرجة العالية في الجنة فان الدرجات هنالك متفاوتة
فاعلاها للنبي صلى الله عليه وسلم ولا طمع لاحد فيه
ثم درجة الرسل والانبيا عليهم الصلاه والسلام ثم الاوليا
ولا طمع لاحد غير الانبياء ولو وليا في طلب مراتبهم واما مراتب

الاولياء فلغيرهم طلبها والطمع فيها لان الولاية لم تختم ولم تنقطع
مدتها الا بالمهدي فبعده ليس لاحد الطمع في مرتبة الولاية
وفك اي اطلق وثاقنا من المعصية بفتح الواو وكسرها
وهو القيد والحبل ونحوهما مما يربط ويشد به فكانه يقول
حل ما شددتنا به من اجل المعصية فانها بصورتها تمنع
الاقبال على الحق لتشتيتها وتمنع من السير لتشتيتها وتثبيطها
وفك رهاننا من النعمة اي ارتهاننا واحتباسنا من اجل
والنعمة بكسر النون وسكون العين المهملة وذلك لان الانسان
مرهون بمكافاة نعم الله والقيام بشكرها وشكره لا يبلغ
مكافاتها ابدا فلا يزال مرهونا بها حتى يتفضل الله عليه ويطلق
اسره ويرضى منه بما تيسر من الشكر ويفك ارتهانه بمواهب
المنة وهي عناية الله تعالى وقد قال الجنيد رضي الله عنه
حجاب قلوب الخاصة روية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون
الى الكرامات انتهى وفيما ذكر من المعصية والوقوف مع النعمة
شوم القطيعة والتفرقة لكنه في المعصية اشد فلذلك اسند
لها الوثاق وللاخر الرهان والمنقذ من ذلك العناية وسوابق
الهداية فيلجا الى الله فيهما بصدق القلب تنبيه يحتمل
قوله فك ان يكون فعل امر كما قررناه اولا ويحتمل كونه مصدرا
معطوفا على المنصوبات قبله فهو من عطف الجمل على الاول
ومن عطف المفردات على الثاني وبحسب ذلك فما بعده
اما منصوب على المفعولية او مخفوض بالاضافة اللهم انا نسالك

التوبة ودوامها لان عدم دوامها يستدعي معاقبة عندها لها والامن
من عدم الدوام باستمرار التوبة مدة الحياة ونعوذ بك من المعصية
واسبابها استعاذ منهما مجتمعتين ومفترقتين فاجتماعهما
صورة واحدة وافتراقهما صورتان فهي ثلاثة احوال اي نعوذ بك
من المعصية ان لم تنشأ عن سبب ومن اسبابها التي من
شانها ان توصل اليها وان لم تحصل هي ومن اجتماع المعصية
مع اسبابها وينبه بهذا الطلب عن حال الخواص الذين مقصدهم
التخلص والاخلاص ووجود السلامة من اسباب الانتقاص
وقد قال في الحكم الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها
اي في حال وقوعها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية
سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها خشية
سقوطهم من نظر الملك الحق فالستر عن المعصية بالغيبة عنها
حتى لا توجد وذلك للخاصة والستر فيها تغييبها عن اعين الخلق
حتى لا تشهد وهو للعامة فالخاصة يطلبون الستر عنها
بتقدم موانعها وفقد اسبابها فتغيب عن نظرهم ولا تخطر
في قلوبهم حتى تميل اليها انفسهم حتى لا تصدر منهم فيقعوا
في مخالفة ربهم والتعرض لسخط خالقهم والسقوط من عينه
ولا التفات منهم الى الخلق مدحا ولا ذما اذ همتهم مصروفة
عن النظر اليهم والاعتماد عليهم في نفع او دفع وحالهم انما هو الغنا عن
بعلم الله ومراقبة نظره واما العامة فان الغالب على قلوبهم
رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم وشانهم التصنع

والذين

والذين لهم وجهة حمدهم وكراهة ذمهم فيعملون المعصية و يستخفون
بها ويطلبون من الله تعالى سترها عن الاعين في حال و جودها
لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من اعينهم لغيبتهم عن ربهم وفي
بعض الكتب المنزلة ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم
وان علمتم اني اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم
وذكرنا بالخوف منك هو فزع القلب من مكروه يناله او محبوب
يفوته متعلقه يوجد في المستقبل وسببه تفكر العبد في المخلوقات
كتفكره في تقصيره واهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه وكتفكره
فيما ذكره الله في كتابه من اهلاك من يخالفه وما اعد له في الاخرة
وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهب والخيفة والخشية
وفي كلام الشيخ ابي علي الدقاق للخوف ثلاث مراتب الخوف
والخشية والهيبة فالخوف من شروط الايمان وقضيته اي
فايمان العبد يقتضيه الخوف قال الله تعالى وخافون ان كنتم
مؤمنين والخشية من شروط العلم وقضيته اي فعلم العبد
يقتضيه الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
اي به تعالى والهيبة من شروط المعرفة وقضيتها فمعرفة
العبد تقتضيه الهيبة قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه
اي لما كان العارفون مشغولين بربهم عمن سواه حذرهم من
نفسه ولم يذكر شيئا من عذابه ومما قاله علم ان الخوف يطلق
على الثلاثة وان الخوف الثاني اخص من الاول ونظيره الهبة
بمعنى مطلق العطية تنقسم الى هبة وهدية وصدقة كما

هو مغرور في محله وقوله منك فيه تنبيه على المخوف منه لان هنا
خوفا وخائفا ومخوفا منه فالخوف حال العبد والخائف هو
العبد والمخوف منه هو الذي يهاب فمن خاف العقوبة على فوات
المامور به بادر اليه وعلى ارتكاب المنهي عنه تنحى عنه وبالحقيقة
فالخائف تومنه المخوفات اي تجعله في امان بانه يامن منها
في حال طروقها فلا توثر فيه لغيبته عنها بخوف الله ومن غاب
عن الاشياء غابت عنه وقد صرح الائمة بان الخوف على قدر
المعرفة وان العارفين اذا خوفوا رجوا واذا رجوا خافوا لانهم
يشهدون الجلال والجمال قبل هجوم اي نزول خطراتها اي
المعاصي وخطراتها ما يهجس اي يقع في القلب من نزغا
الشيطان لان الانسان اذا كان ذاكرا سبب الخوف من ربه
تعالى لم يكن للخطرات عليه من سبيل واحملنا على النجاة
اي التخلص منها اي من المعاصي او من خطراتها والنجاة من
التفكر في طرايقها اي المعاصي والفرق بين الخطرات والتفكر
ان الخطرات عارضة بغير قصد والتفكر بقصد من المتفكر
وامح ازل واخرج من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه اي ما
اقترفناه واكتسبناه منها اي المعاصي بخلاف الخطرات التي
لا يكتسبها العبد فلا يواخذ بها لانها في حيز العفو واستبدلها
اي ابدلها فالسين والتاء زايدتان والضمير للمعاصي او الحلاوة منها
بالكراهة لها اي اجعل نفوسنا كارهة لها لا ينال اجتنابها
مع كونها محبوبة اعظم ثوابا من كونها مكروهة لانا نثو

هو كذلك

هو كذلك فيما كان مكروها للمكلف طبعا اما ما هو محبوب طبعا
واستعمل الصبر عنه الى ان انقلبت المحبة فيه كراهة فثواب اجتنابه
اعظم لان كراهته عارضة باكتساب العبد على جهة الصبر
والتمرن والطعم اي الذوق لما هو اي للطاعات التي هي
بضدها اي التي هي ضد لها فالباء زايدة اي ابدلنا حلاوة
المعاصي بحلاوة الطاعات التي هي ضد لها حتى لا نطعم
الا ما هو طاعة ولا نلتذ الا بما يوصل الى الله تعالى والى مرضاته
وهذه حالة اهل الايمان واليقين الذين لا التفات لهم الى شيء
سوى الحق تعالى وافض اي اكثر صببك يقال فاض الماء وافاض
اذا سال منصبا وافاض اناءه اذا ملأه حتى اساله علينا
من بحر كرمك جودك وعفوك تجاوزك عن معاصينا حتى
نخرج من الدنيا على اي مع السلامة من وبالها اي الدنيا
او المعاصي والسلامة التعري والتحفظ من العوارض والافات
حتى لا يلحق العبد شر ولا يدركه ضير والوبال عاقبة السوء
والجزاء على الجرم وجعل الخروج من الدنيا على السلامة غاية
لافاضة الكرم لاستلزامه استصحابها فان من خرج
من الدنيا سالما دام له الاكرام بزوال ربقة التكليف وذهاب
الموانع الصارفة عن الخير وارتفاع الحجب واجعلنا عند الموت
ناطقين بالشهادة لما كانت السلامة من وبال الدنيا والمعاصي
غير مستلزمة لنطق المعصوم بالشهادة سأله من الله
تعالى عالمين بها اي بمعناها عند الموت اذ النطق لا يستلزم

العلم كالعكس فلذلك جمع بينهما وارأف بنا في ساير الشئون والاحوال
والازمنة والامكنة وهو بضم الهمزة وفتحها لان مقتضى كلام
الي زيد انه مثلث الماضي فيكون مضارعه بضم العين في فعل
المضموم وبالفتح في الباقي والامر جار على المضارع فيضبط الا مر
الواقع هنا بالضم والفتح رأفة الحبيب بحبيبه فعيل يكون
بمعنى اسم الفاعل والمفعول اي رأفة كرأفة المحب بمحبوبه عند
الشدايد متعلق برأفة الحبيب لبنيد كيفية الرأفة المطلوبة في جميع
الاحوال ويحتمل تعلق الظرف بفعل الامر اي ارأف بنا عند
الشدايد لكنه بعيد فصر ذلك على حال الشدايد فتعلقه بالاول
لشموله اولى والرأفة اشد الرحمة ونزولها لما كانت عند بيّن الشدايد
لاتستلزم نزولها اذ قد تكون لمجرد تقدير الوقوع زاده ليحقوبه
وارحنا اي اعطنا راحة نستريح بها من هموم الدنيا وغمومها
وفايدة هذا الطلب ان الخروج من الدنيا على السلامة قد يكون
بعد مكابدة عظيمة وشدة فلا يستلزم الراحة المسؤلة حال
التكليف ويحتمل ان يكون المسؤل الراحة بعد الموت وفايدة
سؤالها حينئذ تقييدها بما يأتي بعد والامن المعلوم انه في
الخروج من الدنيا على السلامة يوجب الراحة ولاجل اختلاف
احوال المستريحين طلب ان تكون استراحة بالروح اي بالفتح
الراحة الخاصة والريحان الرزق الحسن والمراد الموصلان الى
الجنة ونعيمها المخلد اللهم انا نسالك توبة سابقة منك الينا
في سابق علمك لامتنانك بها علينا والمراد نسالك التوفيق

الهم

اليها لتكون توبتنا وانابتنا تابعة اليك منا فطابق ما سبقت
به ارادتك واحاط به علمك فلا يعتريها زوال ولا تغير ويحتمل
ان يكون المعنى نسالك ان تتوب علينا فنتوب فتكون تو بتنا
تابعة لتوبتك علينا كما في قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا
قال بعضهم في تفسير الاية ان توبته سبحانه ان لم تكن
سابقة لهم لا تنفع توبتهم ولو تابوا الف مرة في اليوم وذلك
معنى الانابة التي للنفس اللوامة فان التوبة لها اربع مراتب
على حسب مقامات النفس فالمرتبة الاولى مختصة باسم
التوبة وهي للنفس الامارة قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا وقال عليه
السلام التايب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه لعوام المومنين
وهي ترك المنهيات والقيام بالمامورات وقضاء الفوايت ورد
الحقوق والاستحلال من المظالم والندم على ما جرى والعزم
على ان لا يعود وهي توبة الاقوال والافعال والمرتبة الثانية
الانابة وهي للنفس اللوامة قال تعالى وانيبوا الى ربكم وهي
لخواص المومنين من الاوليا والانابة ترك الدنيا والزهد في ملاذها
وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة
على جهادها فان الله يحب التوابين الاية فيفهم ان التوبة
وتطهير النفس عن دنس الاوصاف الذميمة من نتايج محبة
الله الازلية لقوله يحبهم فتلخص ان العصيان من صفات
الانسان والتوبة من صفات الحق فتوبة العبد اثر توبته
تعالى والى ذلك الاشارة بقوله لتكون توبتنا تابعة لها والمر نبه

الثالثة الاوبة وهي للنفس الملهمة قال تعالى نعم العبد انه اواب
وهذه مرتبة خواص الاوليا وهي من اثار الشوق الى لقايه
فمن تاب خوفا من عقابه فهو صاحب توبة ومن تاب شوقا
الى لقايه فهو صاحب اوبة فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت
في مقام الروح وهو مقام العبودية الملكية لقوله تعالى فاد خلي
في عبادي والمرتبة الرابعة الرجوع وهي للنفس المطمئنة
قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك وهذه
هي مرتبة اخص الاوليا والاقويا وفي شرح منازل السايرين
للمقدسي التوبة لها نسبتان نسبة الى الله ونسبة الى العبد
فالنسبة الى الله تعالى هي رجوعه على عبده بالمغفرة ولها
نسبتان الى الماضي والمستقبل فمغفرة الماضي هي ستر العبد
من العقوبة ومغفرة المستقبل هي ستر العبد من الوقوع
في الذنب وبالنسبة الى العبد هي رجوعه الى الله تعالى من
شروده عنه بالمخالفة وتختلف التوبة باختلاف التايبين
فتايب بالرجوع عن ظلم نفسه بالوقوع في المعاصي والوقوف
مع الشهوات والمخالفات الظاهرة وتايب بالرجوع عن المعاصي
الباطنة من رذايل الاخلاق وسفسافها وتايب عن التقصير
في الطاعات وتايب عن الوقوف معها كالركون الى بعض المنازل
والمقامات وتايب عن نسبة الطاعات الى نفسه او عن روية
نفسه وهكذا لكل مقام توبة هي الرجوع منه الى اعلى منه
حسنات الابرار سيات المقربين وهب لنا التلقي منك هو المعبر

عنه

عنه عند القوم بالتحديث وهو خطاب الحق لعباده العارفين من
عالم الملك والشهادة وهو كما لابن العربي اخص من الالهام
لان الالهام لكل مومن منه بقدر ايمانه والتحديث الهام خاص
يسمى في حق الانبياء وحيا وفي حق الاولياء الهاما قال صلى
الله عليه وسلم ان يكن في امتي محدثون فعمر منهم واختلف
الايمة في معنى محدثون فقيل ملهمون وقيل مصيبون اذا
ظنوا فكانهم حدثوا بشيء فظنوه وقيل يجري الصواب على السنتهم وقيل
تكلمهم الملايكة وجاء في رواية مكلمون من غير ان يكونوا انبياء
فالتحديث اذا عبارة عن اعلام الرب سبحانه عبده الملهم بامر ما في سره
باشارة او نطق او غيره مع فهم ان ذلك الهام من الحق سبحانه وانما
ذلك في حق من فنيت بشريته وتجوهرت نفسه كما يشير الى
ذلك حديث لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه وبصره وساير قواه وحينئذ يكون العبد
ان صمت فمع الله وان نطق فبالله فتجري عليه علوم سمية
وجواهر من الحكم سنية وبحسب ذلك يحيي بها سامعها
ويمتد منها للاخذ بها على انه ليس في سمعه حروف واصوات
بل المراد انه اسمعه بحرف القدرة وصوت الازلية الذي هو
منزه عن همهمة الانفاس وخطرات الوسواس كتلقي ادم منك
ما ورد عليه من الكلمات يريد تشبيه التلقي بالتلقي والالقاء
الوحي من الالهام قال ابن جزي على قوله تعالى فتلقى ادم
من ربه كلمات اي اخذ وقبل وقال السيوطي اي الهمه اياها

وذلك على قراءة الجماعة وفسر ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات فتلقى
على هذا من اللقاء اي جاءه وقال الامام الكرماني اصل التلقي
المتبول على فهم وفطنة ومنه الحديث كان صلى الله عليه وسلم
يتلقى الوحي من جبريل تلقيا والكلمات التي تلقاها وبسببها
كانت توبته هي ربنا ظلمنا انفسنا الاية ليكون ادم قدوة تتليث
التناف لولده المتبعين له في التوبة والانابة والاعمال الصالحات
التي هي شرط في صحة التوبة او كمالها وباعد بيننا وبين العناد
هو مخالفة الاوامر الشرعية عمدا والاصرار اي المقام على الذنب
بنية العود اليه والتشبه اي التشبه بابليس هو ابو الجن
كان بين الملائكة متصفا بصفاتهم راس الغواة بضم الغين
جمع غاو من الغي وهو الضلال وفي مفردات الراغب الغي
جهل ينشأ من اعتقاد فاسد وذلك ان الجهل قد يكون
من كون الانسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا ولا فاسدا
وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا النحو الثاني يقال
له غي انتهى ووصف ابليس بانه راس الغواة لما كان منه
من افتتاح الغواية بسنتي العناد والاصرار وجعلهما
منه في مقابلة ما كان لادم عليه السلام من التوبة والاعمال
الصالحة واجعل سيئاتنا كسيئات من احببته من عباد
كادم عليه السلام التي سبقت له منك ولاحت عليه
محبتك اذ كانت سيئاته سببا في الالتجاء والتضرع اليك وهما
سبب القرب منك ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضته

من عبادك

من عبادك كابليس اللعين الذي سبقت له منك سابقة السوء فلم
تنفعه حسناته اذ كانت سببا في تكبره اذ قال انا خير منه وفي عناده
واصراره مما هو سبب البعد منك حتى كفر بك قبل كفره بامتناعه
من السجود وذلك بناء على ان المعصية كفر قال ابن جزي في تفسير
والاظهر ان كفره باعتراضه على الله وتسفيهه له في امره بالسجود
لادم وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية ولبعض الاولياء
في مناجاته اللهم ان احببتني غفرت سيئاتي وان مقتني لم تقبل
حسناتي فالاحسان لا ينفع مع البغض منك السابق منك في الازل
كما لم ينفع ابليس ما سلف من عبادته اذ كان في علمك من
المبغوضين وشاهد ما ذكر حديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر ومنه قضية بلعام وبرصيص من سوء الخاتمة والعياذ
بالله وقد قال عليه السلام الاعمال بالخواتيم وفي الحكم
لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله وفي
الحديث من نوقش الحساب عذب والاساءة لا تضر مع الحب منك
كما لم تضر ادم اذ كان لديك من المحبوبين وفي القوت في كتاب
المحبة حديث اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب وفي الصحيح وما
يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم وسببه معلوم وفي نوادر الاصول على حديث
هؤلاء للجنة ولا ابالي في اهل قبضة اليمين وهؤلاء الى النار
ولا ابالي في اهل قبضة الشمال قال يزيد والله اعلم بقوله
ولا ابالي بما يعملون من خير او شر فاقبل خيرهم واغفر

شرهم كما قال تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز
عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
وفي القصد الى الله يبلغ الولي مبلغا يقال له اصحبناك السلامة
ورفعنا عنك الملامة اصنع ما شئت وقد ابهمت الامر عليه
من حيث انا لا نعرف صحة العمل ولا قبوله لخفاء ما يطرق الاعمال
من الآفات لترجو رحمتك اي تطمع في نعمتك وهي الجنة والطمع
فيها انما يكون بامتثال الاوامر بالعمل واما بالقلب واللسان
من غير عمل فهو رجاء الكذابين وتخاف عقابك وهذا سر
التكليف ثم اعلم ان الرجاء تعلق القلب بمطموع فيه من جلب
نفع ودفع ضر مع الاخذ في اسبابه والا كان طمعا وهو رجاء
الكذابين قال في الحكم الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية والخوف
مقابل الرجا وقد تقدمت حقيقته والفرق بين الرجا والتمني
الذي هو طلب ما لا طمع في وقوعه كليت الشباب يعود يوما
ان التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك صاحبه طريق الجد
والجهد في الطاعات وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمني
مذموم وقد تكلموا في الرجا فقيل علامته حسن الطاعة ومن
المعهود في اعمال الدنيا ان من وضع حبه في ارض طيبة قد رويت
قوي رجاؤه وظنه بحصول مطلوبه وعكسه من وضع حبه
في ارض سبخة في زمن الصيف وقال الله قادر على ان ينبته
فيها فهذا القول وان كان صحيحا لكن المتبع ما اجرى الله من
عادته في خلقه وقد ذم الله قوما تمنوا مثل هذا فاصروا على

حب

حب الدنيا وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف من الناس
الردي قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي
رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء
الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع
جهل وحمق هذا والرجاء من ثلاثة من عمل حسنة فهو
يرجو قبولها ومن عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة
فيتمناها والثالث الكاذب المغرور يتمادى في الذنوب ويقول
ارجو المغفرة فيتمناها مع اقامته على الزلل فحق الحازم ان لا يزال
على وجل وان حسن عمله قال تعالى والذين يؤتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون قالت عايشة رضي الله
عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هم الرجل
يسرق والرجل يزني والرجل يشرب الخمر قال لا ولكن الرجل
يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يتقبل منه ففيه دليل
على ان الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة
عمله ولا قبوله لخفاء ما يطرق الاعمال من الآفات والعبد اذا
تفكر ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وخشي ان لا يتقبل
توبته فاذا من عليه بالعمل وعلم انه يقبل التوبة رجع اليه
واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين
لله على الخشية لعلمه بصفاته وهو انه شديد العقاب غفور
رحيم بما اجراه الله عليه من المعصية والتوبة عنها فاذا نظر

الي وقوع المعصية خاف واذا نظر الي انه تعالى من عليه بالتوبة رجى واعتدل
خوفه ورجاؤه ودامت طاعته ومراقبته وخشيته فأمن خوفنا يوم
القيامة ولا تخيب رجاءنا هذا مع ما قبله لف ونشر غير مرتب اي
لا تجعلنا خائبين يقال خاب يخيب خيبة اذا لم يظفر بما طلب
وخيبه الله بالتشديد جعله خائبا كذا في المصباح واعط بقطع
الهمزة سؤلنا مسؤلنا وهو شامل لكل ما سال اي اجب دعاءنا
وفي المقام تفصيل بعد اجمال واجمال بعد تفصيل يدل على تعظيم
الربوبية وتحقق العبودية وهو من باب اعظام المسالة لقوله
عليه الصلاة والسلام اذا سالتم الله فاعظموا المسالة فان
الله لا يتعاظمه شيء قالوا اذا نكثر يا رسول الله قال الله اكثر
بالثاء المثلثة او الله اكبر بالباء الموحدة التحتية وجعله كالتوطئة
لقوله فقد اعطيتنا معشر المؤمنين الايمان هو تصديق النبي
صلى الله عليه وسلم في كل امر ديني علم مجيئه به ضرورة
المعتبر معه النطق بالشهادتين شرطا او شطرا على الخلاف
المقرر في محله من قبل ان نسالك فكيف لا تعطينا مكملاته
مع سؤالها وكتبت اي كتبت الايمان اي اوجدته واثبته
في قلوبنا وحببت سهلت سبله لمن سبقت له منك سابقة
الخير والسعادة وفي التنزيل عن قوم كتب في قلوبهم الايمان وعن
اخرين حبب اليكم الايمان وزينته حسنته لهم كانه من باب
ذكر السبب بعد المسبب لانه لما زين الايمان في قلب من سبقت
له سابقة احبه وكرهته لمن شئت وهو ضد حببته

واطلقت

واطلقت الالسن بما به ترجمت اي فاهت ونطقت بما كتبته القلم
في اللوح المحفوظ بانه لا ينطق لسان ولا يعتقد جنان الا بما
افصح به في اللوح ترجمان وهذا من صميم التوحيد فانه
لا تتحرك ذرة الا باذنه وفعله بل وجميع ما يتعلق به ارادة
العبد ومشيئته فهو اثر من اثار مشيئة الله وارادته كما
قال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله والالسن بضم
السين اذا لم يكن فيه الفاء كما هنا وبكسرها اذا كانت
فيه كما في قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد فنعم الرب انت
الرب المالك الذي يربي عباده باحسانه ويصلح شؤنهم
فلا مالك غيره ولا مدبر سواه واتى به للاشعار بتعظيم
الثناء حتى تسكن النفس له تعالى في كل ما يريده العبد
ويطلبه ويتوجه اليه فيه لشعورها بالعظمة فيما هي به
والا فهي جملة معترضة اذ هو نعم المولى ونعم النصير
ومن كان كذلك لا يخذل من تعلق به ولا يهمل من استند
اليه ولا يترك من توكل عليه ومن يتوكل على الله فهو
حسبه اي كافيه وناصره ووليه فلك الحمد اي ليس الثناء كله
بالجميل الا لك على ما انعمت اي على انعامك وعلى احسا
والحمد على الانعام اولى منه على متعلقه ونعمه سبحانه
على عبده تتعاود فيما لا تحصى فاغفر لنا مغفرة عامة ولذلك
حذف متعلق الفعل ليعم وكرر سؤال المغفرة غير مرة
ايماء الى انها المقصود الاهم وما سواه وسيلة وفيه من الادب

تقديم الثنا على الله بين يدي سواله ولا تعاقبنا بالسلب للنعم
بعد العطاء فيما منك لان العبد لا يملك مع الله شيا وزاد
بعد العطاء وان كان السلب لا يتحمل الا كذلك ايماء الى شدة
العقوبة بذلك لان من حرم قبل العطاء لم يذق حلاوة العطاء
فكان اخف ممن ذاق ثم سلب ولا يكفران النعم اي بجحودها
وعدم الشكر عليها فان من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها
ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وحرمان الرضى الذي
هو مدار العبودية واساسها ولا حيلة له الا بتوفيق الله
وعنايته وحرمانه والعياذ بالله بوجود ضده وهو السخط
ولا منجا منه الا بحول الله وقوته فان الكل به ومنه واليه
والعبد متقلب في المشيئة مقهور تحت الحكم لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ومن البين ان المعاصي
والذنوب اسباب للهلاك والبعد عن الله وان سبب المخالفة
الغفلة وبذهاب الغفلة تكون الانابة ويصح الرجوع الى
الله وتنعقد التوبة وشروطها الثلاثة التي هي الندم على
ما فات والعزم فيما هو آت واصلاح ما فسد من الطاعات
بامتثال الامر وترك النهي وهذا كله لا يخلقه العبد في نفسه
لقوله الله تعالى والله خلقكم وما تعملون انا كل شيء
خلقناه بقدر يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل
عما يفعل وحسن حال العبد دال على سعادته والا فهو
في المشيئة ولو اعطى العبد الحكم في نفسه لم يختر لها الا الغاية

ما يدركه

ما يدركه علمه ومن ثم اختلفت المذاهب حتى قال قوم بالجبر
وقوم بالقدر وقوم وهم اهل السنة بالتوسط فيتمسك العبد في ظاهره
بالقدر وفي باطنه بالجبر ويرى الاسباب مع الشيء لا بها وان
قصور العبد ظاهرا وباطنا شامل لعدم الاحاطة بالعلم والقدرة
التي لا سبيل للمخلوق اليها حقيقة وانما ذلك امر مجازي اختبر
الله به عباده كما قال تعالى ولنبلونكم الاية ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ومن
لم يعرف الحقائق بالشرائع والشرائع بالحقائق فهو مبطل
للحكم والحكمة الحكم لجهله به والحكمة لترك العمل بها اللهم رضنا
بقضائك تقدم معنى الرضا بالقضاء عند قوله فهنيئا لمن عرفك
فرضي بقضائك وليس ما هنا مكررا معه لان هنالك اخبر
بما يحصل عن الرضى وسال هنا ان يكون راضيا وصبرنا على
طاعتك قد كان سال اولا ان يجعل الله له بدنا هينا لينا
بالطاعة ومن جعل الله له ذلك سهلت عليه الطاعة حتى
لا يتحمل مشقتها ثم اتهم نفسه بالتقصير وانه لم يحصل
له ما سال فطلب الصبر على الطاعة وصبرنا عن معصيتك
فان من لم يصبر على الطاعة تركها ومن لم يصبر عن المعصية
ارتكبها ولذلك حسن ذكر المقابلة وصبرنا عن الشهوات
اي الافعال المشتهيات حتى لا تتكرر مع قوله السابق وزحزحنا
عن نار الشهوة الموجبات اي المثبتات والمكسبات للنقص
تقدم وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا وليس ما هنا

مكر رامعه لان ذلك سواك التقديس عن الاوصاف الردية الخفية
وهنا سواك الصبر عن الافعال الشهوانية المقتضية وحبس النفس
عن ارتكابها والميل اليها وما بين المقامين لا يخفي او البعد
عنك وان لم يوجب نقصا ان تعقلت درجة لا توصف با لنقص
ولا بالكمال و يوجب البعد ففي عوارف المعارف للسهروردي
ما كان من الفتح بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب والزهد
في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله باخلاص من الصلاة
والتلاوة وغير ذلك ثم قال وما يفتح به على من ليس تحت
سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره انتهى وكا ن
المراد البعد عن حضرة الله ودايرة ولايته ومحض التحقق بمحر هذه
وفي الحكم كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته ،
ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ، ام كيف يطمع
ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ،
تنبيه قسم القشيري الصبر في رسالته الى ثلاثة اقسام
صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب له
وجعل الصبر على المكتسب قسمين صبر على ما امر الله به
من واجب ومندوب وصبر على ما نهى الله عنه من حرام (١) م .. وصبر عما نهى الله
ومكروه وقد سال الشيخ رضي الله عنه من الله الصبر على
المامورات مطلقا بقوله اللهم صبرنا على طاعتك وعن المنهيات
المحرمة بقوله وعن معصيتك والمكروهات بقوله وعن

الشهوات

الشهوات الخ واما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره على مشا سات
ما يترك به من الالام والاسقام في نفسه وولده وخادمه ونحو ها
ولعل هذا القسم مما يوجب البعد لا النقص فيكون داخلا
فيه والله اعلم وهب لنا حقيقة اي كمال الايمان بك اي
بوجودك وصفاتك وجلالك واليقين بك بان يغلب على
القلب حال الايمان حتى لا يبقى فيه متسع لغيرك وذلك
كماله الموجب لاستغراق القلب والهمة فيك والانقطاع اليك
حتى لا نرى في الوجود غيرك ولا نلتفت لشئ سواك ويعبر
عن ذلك بالحقيقة قال صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة
فحقيقة كل شئ كماله وهو غلبته على القلب وذلك معنى
الجمع على الله باستيلاء مراقبة الحق على الباطن والغيبة
عن من سواه فيفنى العبد عن وجوده ويبقى بربه فلا يشغله
استغراقه في شهوده عن الشعور بغيره وينمحي عنه امل كل
شئ يرجى وخوف كل شئ يتقي ، فليس له في سوى الحق اخيا دا
ولا مع غيره قرار ، ولذا قال حتى لا نخاف غيرك ولا نرجو
غيرك ولا نحب غيرك ولا نعبد شيئا سواك اذ كل ما سوى
الله هالك وباطل الا كل شئ ما خلا الله باطل ولا شك
ان حقيقة الايمان تقتضي الخروج من ذلك النفس كله في الحرص
والهلع والامل والطمع وانما اقتضت حقيقة الايمان ذلك
لانها تطهر القلب من الشك والشرك ومن تعلقه بشئ سوى
الله واعلم ان تعلق القلب بامور الدنيا يقتضي الوقوع

في الشرك، ونعلقه بامور الاخرة يقتضي الدخول في الشك، ومعناه ان
كل عامل للجزا فهو في شك من دينه لانه يعبد الله على حرف فان
اصابه خير الاية لكنه بقدر رجوع العبد الى الله تعالى يكون
اطمينان القلب بالله، وبقدر الاطمينان يكون ثبوت القلب
بالايمان، وحصول الايقان، وبقدر ثبوت الايمان، وحصول
الايقان، يكون انشراح الصدر، وبقدر انشراح الصدر،
تكون قوة النور، وبقدر قوة النور يكون الرجوع الى الله في كل
حال، وذلك غاية حقيقة الايمان ونتيجته وهي الغيبة عن
الاكوان بشهود مكونها واوزعنا الهمنا ومنه رب اوزعني ان
اشكر نعمتك اي الهمني شكر نعمائك بفتح النون مع المد كما
هو الرواية هنا وان جاز من جهة اللغة ضم النون مع القصر
كما سبق في قوله وهب لنا من نعماك وكل منهما بمعنى النعمة
وما هنا ليس مكررا مع قوله السابق وقد امنحنا بشكرك
وقوله ونسالك الشكر على العافية لان المقصود هنا الهام
الشكر على النعم والاول تحصيل الشكر متعلقا به او مقيدا
بكونه على العافية ويحتمه عنه ذهوله وقد يلهمه مع فقد
العناية فافاد في كل محل ما لم يفده في الاخر والمراد بالالهام
هنا التوفيق والتيسير وغطنا استرنا برداء عافيتك
اي بالعافية التي هي كالرداء في مطلق الستر لان العافية تستر
العيوب والرداء يستر الجسد والعافية السلامة من الافات
الدينية والدنيوية واضافتها الى الله تقتضي كمالها وفي

الحديث

الحديث سلوا الله اليقين والعفو والعافية فقيل العفو في الاخرة والعافية
في الدنيا وكل منهما مشتق من صاحبه ومرجعهما ان لا يخذل
العبد حتى يقع في الذنب وان لا تصيبه الشدايد والبلوى في الدنيا
والاخرة قاله الحكيم الترمذي وانصرنا باليقين وهو النور المستقر
في القلب القاهر للشهوات وبالتوكل اي الاعتماد عليك
متعلق بالتوكل ولم يذكر متعلق انصرنا وهو المنصور عليه
لما علم انه اذا كان للعبد يقين وتوكل على الله اي صحة تفويض
اموره كلها اليه نصر على كل اعدايه وان نفسا او شيطانا وسئل
السري السقطي عن التوكل فقال هو الانخلاع من الحول والقوة وقيل
هو ترك تدبير النفس لتدبير الله وقال القشيري اعلم ان التوكل
محله القلب والحركة بالظاهر وهي السبب لا تنافي في القلب بعدما تحقق (توكل صح)
العبد ان المقدر من قبل الله فان تعسر شيء فبتقديره او تيسر
فبتيسيره وقد جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله ادعها واتوكل
فقال عليه السلام اعقلها وتوكل ففيه دلالة على ان السبب
لكونه فعل الجارحة لا ينافي التوكل لكونه فعل القلب بل قد يجب
السبب واسفر اي بيض ونور وجوهنا بنور صفاتك اي تجل
علينا بشيء من جمالك حتى يظهر اثره علينا فتشرق وجوهنا
وتتلالا نورا وجمالا وفرحا وسرورا واضحكنا فرحا وبشرنا
يوم القيامة بين اوليايك المذكورين في قوله تعالى وجوه يوميذ
مسفرة الاية قال ابن عطاء الله في الاية اسفرت تلك الوجوه تنظرها
الى مولاها واضحكها رضاه عنها وقيل كشف عنها ستور الغفلة

فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته واجعل يداك
نعمتك الكاملة مبسوطة منشورة علينا وعلى اهلينا جمع
اهل اي اقاربنا واولادنا عطف خاص على عام ومن معشبا
من احبابنا برحمتك البالغة اي متوسلا وسايلا بعمتك
الواسعة على انها راجعة الى الارادة ولاتكلنا الى انفسنا اي
لاتخرجنا وتصرفنا اليها تعالى وكلت اموري الى الله وكلا من
باب وعد صوفتها اليه طرفة اي مقدار لمحة عين ولا اقل من
ذلك فان من وكل الى نفسه فكانها لا بمولاه فانه يهلك
لعجزها عن التدبير مع انها امارة بالسوء وفي بعض الادعية
المروية اللهم انصرني فانك بي بصير واغفر لي فانك على
كل شيء قدير ودبرلي فاني لا احسن التدبير والطف بي فا نك
انت اللطيف الخبير يانعم المجيب يانعم المجيب يانعم المجيب فيه
دخول حرف الندا المختص بالاسم على فعل المدح وهو نعم
فيقدر معه منادى محذوف معه قول اي يا مجيب مقول فيه
نعم المجيب وكرر ذلك ثلاثا اعتبارا بذلك الندا في الظاهر
او الباطن او فيهما او اعتبارا بالحال والماضي والاستقبال
والله اعلم يامن هو هو هو قال شارح الحصن لفظ هو ضمير
يعود على متقدم او متاخر وليس هو من الاسماء الحسنى
قال بعض الايمة لكن الطايفة الصوفية يستعملونه اسما
مطهرا ويكنون به عن الحقيقة المشهودة لهم من حيث هي
هي من غير ملاحظة اتصافها بصفة من صفاتها ولذلك

يضعون

يضعونه موضع الموصوف ويجرون عليه الاسما والاوصاف وهذا الاق ستعمال
عندهم خصوصا مع التكرار ثلاثا اشارة مختصة باهل الاستغرا ق
والتحقق في الوهية الحقيقة فلا نطباق عن الاحدية عليهم وانكشا ف
الوجود الحقيقي لديهم فقد ومن يشاراليه هو الا هو سبحانه
لانه المشار اليه لما كان واحدا كانت الاشارة المطلقة لاتكون الا اليه
لفقد ما سواه في شعورهم لغنايهم عن الرسوم البشرية بالكلية
وغيبتهم عن وجودهم وعن احساسهم واوصافهم الكونية
وذلك غاية في التوحيد والاعظام سخنا الله ذلك على الدوا م
واعراب هذا التركيب ان هو الاول مبتدا والثاني والثالث تاكيد ن
له وقريب من قوله في علوه قريب خبره وفي بمعنى مع اي قريب قرب
علم واجابة مع علوه رتبة ومكانة فانه تعالى علي بالاقتدا ر
وتفرد السلطان وعلي عن الاشباه والامثال ومع ذلك
هو قريب من حيث احاطته على بساير الموجودات والا فهو
تعالى منزه عن الاين والجهة والكيف والمادة والصورة
لانها حدود يلزم من تقيد بها الحدوث والتخصيص لان من له
اول له اخر ومن له اخر فلا بد له من اول ومن له بعض له كل
والعكس والقبل والبعد كذلك ومن له جهة فهو مختص بحيز
اختصاص الجوهر ومختص بجوهر اختصاص العرض بمحله
وقد علم استحالة كونه تعالى جوهرا او عرضا فاستحال
كونه مختصا بجهة ياذا الجلال العظمة والاكرام وردان الداعي اذا
قال استجيب له ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ان

النبي صلى الله عليه وسلم سمعه يقول ياذا الجلال والاكرام فقال
استجيب لك فسل تعطه اخرجه الترمذي وقال حسن يا محيط
بالليالي والايام منادي منصوب لانه مطول لتعلق الجار والمجرور
به ولما كانت الايام والليالي محيطة بكل مخلوق وهو سبحانه محيط
بها وبكل شيء كما قال تعالى الا انه بكل شيء محيط واحاط بكل شيء
علما واحصى كل شيء عددا حسن التعبير بها اذ المحيط بها محيط
بجميع ما احاطت به اشكو اليك من غم الحجاب اي من الغم
الناشئ عن الحجاب وهو كل ما ستر المطلوب عن عين طالبه
اي استجير بك من وقوع الحجاب واستعيذ بك منه وهو
جدير بان يستجار بالله منه وان يلجا الى الله في دفعه
ورفعه قال ابن العربي كلما ستر مطلوبك عن عينك فهو
حجاب وهذا بهذا التفسير يكون في الدنيا والاخرة وسوء الحساب
في الدنيا والاخرة فان الاكابر يحاسبون انفسهم كل يوم حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا فان راوا في المحاسبة ما يسر شكر وا
الله عليه والا عاتبوا النفس بما يكون زجرا لها وشدة العذاب
في الدارين اما في الدنيا فمنه ما في صرف النفس الامارة عن هوا ها
بالرد الى ما يرضي مولاها من غاية التعب ما لا يخفى واما في الا خرة
فما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم
والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير
ذلك من الالام والعقوبات وكان هذين من عطف المسبب
على السبب وان ذلك اي ما ذكر من الحجاب وما ذكر معه اوما تسبب

عنه

عنه من العذاب لواقع نازل بالعباد ما له من دافع يدفعه عني
وعنهم ان لم ترحمني اي كل ذلك نازل بي ان لم تتداركني
رحمتك الواسعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
من احد ابدا وفي الحديث لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
وفي الحكم لولا انك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك وترك دعا ويك
لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله ان يوصلك اليه بما منه
اليك لا بما منك اليه فقوله ان لم ترحمني يصلح ان يكون
جوابه محذوفا يدل عليه ما قبله ويحتمل ان يكون كلاما
مستانفا وجوابه ما تضمنه قوله لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين ويكرر قارئ الحزب هذه الاية ثلاثا لما
مر من سنن التثليث في الدعا ونحوه ومعنى سبحانك تنزيها
لك عما لا يليق بك ولا يجوز في حقك وقوله كنت من الظا لمين
اخبارا عن الحال وليس خبرا عما مضى من فعله فكان للدوا م
لا لما مضى المنقطع وان كانت في كلام يونس عليه السلام
اخبارا عما مضى من ذهابه عن قومه بلا اذن ومن الظالمين
اي عقدا او علما وعملا والظلم مجاوزة الحد والتصرف بغير حق
ولا ينفك عنه احد وعقب شكواه من غم الحجاب وما ذكر
معه بهذه الاية لما ورد انه ما دعا بها رجل مسلم في شيء
قط الا استجيب له وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مكر وب
يدعو بهذا الدعا الا استجيب له وانه كل من قال ذلك من

المومنين اذا اصابه هم او استقبله مهم نجاه الله كما نجى ذا النون لقوله
وكذلك ننجي المومنين وفيه اشارة الى ان الايمان كاف في الانجاح مع
صدق الالتجاء والاعتراف والاستسلام **ولقد شكى اليك**
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام عاش يعقوب
مائة سنة وتوفي بمصر وحمله ابنه يوسف ودفنه عند قبر
ابيه بالشام وكان له اثنى عشر ولدا ذكرا وهم الاسباط وا ثما
قال شكى لمناسبة الشكوى الواردة عنه في قوله انما اشكوا بثي
وحزني الى الله والبث عظم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث
الى الناس اي حتى يذكر وينشر على الناس لعدم القدرة على
كتمه من اجل عظمه **فخلصته من حزنه** برد ولده اليه **ورددت**
عليه ما ذهب من بصره اشارة لقوله تعالى وابيضت عيناه
من الحزن اي انمحى سوادهما وبدله بياضا من بكائه على فقد ولده
وجمعت بينه وبين ولده يوسف بعد ان كانت مدة فراقهما
ثماني عشرة او اربعين او ثمانين سنة واستشهد الشيخ رضي
الله عنه بهذه القضية وما بعدها من القضايا قال الحسيني
لسابق حسن عوائده تعالى مع انبيائه واصفيائه استجلابا
لفضله تعالى في تذكر سابق فضله وكرمه مع ما يثيره من
قوة الرجاء من العبد في ربه وحسن الظن به لوفور جوده وكرمه
وحسن معاملته مع عباده بمحض الفضل الذي لا يتخلف لا لعلة
ولا لسبب وقد قال تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام ولم اكن
بدعائك رب شقيا يعني انك عودتني الاجابة فيما سبق فكما

لم تخيبني فيما مضى فلا تخيبني فيما ياتي اي لم تشقني بالرد فانه
يقال لكل من سعى في امر فبطل سعيه قد شقي به واذا ادركه
قيل سعد به وهو توسل لفضله تعالى بفضله كما تقول
احسن الينا كما احسنت الينا عام اول لان ذلك اعني الجود
وصفك فيه الثناء بوصف الجود وذلك يقتضي العطاء لما
فيه من الاستعطاف وما تضمنه من الاعتراف الذي هو حقيقة
الشكر الكفيل بالمزيد **ولقد ناداك** دعاك **نوح** بن لمك بفتح
اللام وسكونها ابن متوشلخ بن ادريس ابن شيث بن ادم
من قبل اي من قبل يعقوب فقطع عن الاضافة لفظا ونوي
معنى المضاف اليه فبني على الضم ونداوه عليه السلام هو دعا ؤه
على قومه بقوله رب لا تذر على الارض الخ **فنجيته** خلصته
من كربه كما هو معلوم في قصص القرآن قال تعالى ونوحا اذ
نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب
العظيم اي من الغرق وتكذيب قومه ونصرناه من القوم
الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
ولمناسبة الاية قال من قبل واخره عن قبله **ولقد ناداك**
اي دعاك **ايوب** بن مطوع بن رزاح بن عيصو بن اسحاق
ابن ابراهيم وعيصو هو ابو الروم وكان الروم رجلا اصفر
في بياض شديد الصفرة ومن اجل ذلك سميت الروم بني
الاصفر وتزوج عيصو ابنة عمه اسماعيل بن ابراهيم فولدت
له الروم بن عيصو وخمسة اخرين فكل من بارض الروم

البوم من نسل هولاء الرهط وعليه فايوب رومي وكان في زمن يعقوب بن
اسحاق وكان صهره وكانت تحته ابنة ليعقوب تسمى ليا بنت يعقوب
من بعد اي بعد ما ذكر لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده بهدم بيت
عليهم وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته سنين ثلاثا
او سبعا او ثمانيا او ثماني عشرة وضيق عيشه روي ان امرأته ماخير
بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت ابراهيم بن يوسف قالت له يوما
لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة
فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة
رخائي ثم بعد ذلك ناداه بقوله اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين فكشفت ما به من ضره بالشفاء من مرضه واحياء
ولده الذكور والاناث وولد له منهم نوافل فكان له اندر للقمح اي
جرين واندر للشعير فبعث الله سحابتين افرغت احداهما
الذهب على اندر القمح والاخرى الورق على اندر الشعير حتى فاض
ولقد ناداك اي دعاك يونس بن متى اسم ابيه على الراجح وهو
ذو النون اي صاحب الحوت فنجيته من غمه قال تعالى وذا النون
اذ ذهب مغاضبا اي لقومه اي غضبان عليهم لما قاسى منهم
وقصته مشهورة في التفاسير ولقد ناداك زكريا ابن برخيا
من ولد سليمان بن داود وكان هو وعمران ابن ماثان ابو مريم
متزوجين باختين وهما حنة واشاع فولد لزكريا من اشاع
يحيى ولعمران من حنة مريم ولهذا كفل زكريا مريم لموت
ابيها فوهبت له ولدا من صلبه هو يحيى عليه السلام بعد

بأس

يأس اهله اي زوجته لعقمها وكبر سنه ولذا قال رب انى يكون
لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر اي بلغت ثمانيا
وتسعين سنة وبلغ هو نهاية السن مائة وعشرين سنة
ولقد علمت ما نزل بابراهيم بن تارخ ولد ببابل وقيل بنجران
في زمن نمروذ والذي نزل بابراهيم هو المحنة والبلية المشهورة
وذلك انه لما بلغ من العمر ثلاثين سنة القاه نمروذ في النار
وكان قد حبسه قبل ان يلقيه فيها ثلاث عشرة سنة وقيل
القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة فانقذته من نار
عدوه نمروذ وقصته في القرآن شهيرة وانجيت لوط بن هاران
اخي ابراهيم ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف انه ولد لتارخ ابي
ابراهيم ثلاثة اولاد ابراهيم وناخور وهاران فولد لهاران
لوط وسارة وملكا ومات هاران في حياة ابيه تارخ ببلدته
التي ولد بها فنكح ابراهيم سارة بنت هاران ونكح ناخور
ملكا بنت هاران وكانت سارة عاقرا لم تلد واهله اي
اولاده من العذاب النازل بقومه وقصتهم مشهورة في التفاسير
وقد تقرر ان ما ذكره الشيخ رضي الله عنه من هذه الاشارات
الى القصص القرآنية انما اتى به استشهادا لسابق حسن
عوائد الله تعالى مع انبيائه واصفيائه واستجلاب
لفضله تعالى في تذكر سابق فضله وكرمه ولذا قال
فها انا ذا عبدك اعترافا بما لا يمكن خلافه وتمهيد القول
ان تعذبني بجميع ما علمت من انواع عذابك النازل

بامر الانبياء المذكورين بسبب مخالفتهم لهم فانا حقيق به اي مستحقه
لما جبل عليه العبد من غاية النقص الذاتي المناسبة لغاية الاقصاء
والابعاد من جناب الحق وحضرة قدسه ومحل قربه لولا عنايته
تعالى وتدارك رحمته على انه بكل حال لا يقدر قدر ربه فهو من
اجل ذلك مستحق للمقت والعذاب فيما يظن انه عين الادب
ويستجلب العطب بما به قد يتقرب واعراب هذا التركيب ان ها
حرف تنبيه وانا مبتدأ وذا اسم اشارة بدل منه وعبدك
خبره فكانه قال فها انا عبدك نحو وان ترحمني كما رحمتهم اي كرحمتك
لهم اي الانبياء المذكورين مع عظيم اجرامي اقترافي الذنوب الكثيرة وهو
تقوية لما تقدم وفي المصباح جرم جرما من باب ضرب اذنب
واكتسب الاثم وبالمصدر سمي الرجل ومنه بنو جرم والا سم
منه الجرم بالضم والجريمة مثله واجرم اجراما كذلك فانت
اولى بذلك التعطف والانعام الدال عليه ذكر الرحمة الواسعة
واحق من اكرم به اي انت احق واولى من يكرم ويتفضل
بهذا التعطف على فرض ان يكون هناك غيرك له هذا التفضل
فرضا محالا وهذا اذا كان احق على بابه وهو المناسب لاضا فة
لمن ومع تلك الاضافة لا يظهر جعله بمعنى اصل الفعل
ولما استشعر ان من تقدم ذكرهم لهم منصب يقتضي
ما نالهم من التفضل والاحسان قال فليس كرمك مخصوصا
بمن اطاعك واقبل عليك بكليته كالسابقين المتقدمين
من اكابر المؤمنين بل هو مبذول بالذال المعجمة اي معطى

وواصل

وواصل بفضلك ورحمتك بالسبق اي بسبب سبق مشيئتك
وارادتك لمن شئت ذلك له في ازلك من خلقك وهذا
العموم مخصص بمن هو مؤمن ولذا قال وان عصاك اي
بما دون الكفر من المعاصي واعرض عنك اي عن طاعتك
ولم يقل وان كفر بك لان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وليس من الكرم ان لا تحسن الا لمن احسن
اليك بالاقبال عليك والتزام طاعتك وعدم مخالفتك
وقد علم ان الكريم هو الذي اذا قدر عفى واذا وعد وفى واذا
اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى
كما قيل اذا كان الحساب على كريم فما استوفى كريم قط حقه
وانت المفضال الكثير التفضل الغني الذي لا يحتاج الى شيء
في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولا يلحقه نقص ولا يعو قه
عايق بل من الكرم ان تحسن الى من اساء اليك بالمعا صي
غير الكفر المحتوم على الكافرين كما تقدم وانت الرحيم
ولكمال رحمتك تعطي الطايع والعاصي العلي فلا يضرك
عصيان العاصين كما لا تنفعك طاعتهم ففي الاحاديث
القدسية يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا
ولو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر
قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا

لبف وقد امرتنا ان نحسن الى من اساء الينا قال تعالى واحسنوا
ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن وقال خذ
العفو وامر بالعرف وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سال جبريل عليه السلام عن العرف هنا فقال لا ادري حتى اسال
ربي ثم ساله فرجع وقال يا محمد هو ان تعطي من حرمك
وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك وقال والكاظمين
الغيظ الاية فانت اولى بذلك اي الاحسان للمسيء منا لانك
اكرم الاكرمين واجود الاجودين هذا ومما ينسب للشيخ
ابن عباد رضي الله عنه هنا ما نصه ينبغي ان يسقط
القاري لفظة اليك من قوله الا من احسن ومن قوله الا
لمن اساء لانه لا يحسن احد الى الله ولا يسيء اليه بدليل
قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها غير انه
لا يقدر احد ان يبدل لفظ الشيخ رضي الله عنه لانه يرى
بنور الولاية ما لا يراه غيره وقال ايضا كثيرا ما رايت
في النسخ الصحيحة مكتوبا على هذا المحل من كان له مع
الله بسط حال ودلال فليات بهذه الكلمات اقتداء بالشيخ
ومن ليس له ذلك فليتجاوزها الى ما بعدها من قوله
ربنا ظلمنا انفسنا الاية انتهى واولها قوله وليس من الكرم
الى الان يقال ان الشيخ رضي الله عنه اشار لدفع هذا
الوهم والمخالفة بقوله وانت المتفضل الغني قال
المحشي وانما جاء الكلام كذلك على سبيل الغرض

والنظر

والنظر لصورة الحال وما يقصده العبد من النصح لجناب الحق والوفاء بما
يستطيعه ويقدر عليه في عزمه وصميمه ووجود ضد ذلك فقد جاء
النظر لصورة الظاهر واعتباره في الشرع كقوله تعالى اذا نصحوا
لله ورسوله الاية وكقوله يخادعون الله الاية ونحو ذلك ويشهد
لذلك الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني
الحديث وفي الحديث الدعا يا حسن التجاوز وكان الحسن بن علي
اذا اتى باب المسجد رفع راسه وقال الهي عبدك ببابك يا محسن
قد اتاك المسيء وقد امرت المحسن منا ان يتجاوز عن المسيء فانت
المحسن وانا المسيء بالتجاوز فتجاوز عن قبح ما عندي بجميل
ما عندك يا كريم فاذا علم هذا ومثله من موارد الشرع في حقه
تعالى ووعده تعالى بذلك واخباره به عن نفسه فسؤال ذلك
وحكايته والاخبار بحقيقته وتصوير حقيقته والتعلق بذلك
الفضل المدعو به الذي هو احق به وانما خلقه في غيره دلالة
عليه وتصوير الفضل مع كونه انما من اثار رحمته لا ادرك
على مستعمله ولا خلل فيه على ان الكلام خرج مخرج الدلالة
لما قبله فكانه قال ليست رحمتك موقوفة على الطاعة
ولا كرمك مخصوصا بالمطيع توقف المسبب على السبب
وترتبه عليه واختصاصه به عقلا جل حكم الازل ان
يضاف الى العلل واشار الى ذلك بقوله وانت المتفضل
الغني وبقوله وانت الرحيم العلي ففي كل ذلك التنبيه
على التنزيه اللائق به تعالى من رحمته لعبده في عين

علوه واقتداره مع عصيانه وعدم اختصاص فضله ورحمته بالمطيع
لغناه عن طاعته وهذا كله تصوير لغاية المجد والكمال ربنا
ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعاصي وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين فيه دليل على ان الصغاير يعاقب عليها
ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكباير وهل غفران الصغاير باجتناب الكباير ظني او
قطعي قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه الاية فجماعة من الفقهاء والمحدثين يرون التكفير
قطعا والاصوليون لا يجب على القطع وانما ذلك على الظن وقوة
الرجاء اذ لو قطع بذلك لكانت في حكم المباح الذي لا تبعة فيه
وهو نقض لعرى الشريعة ولذا قالوا انما قال ادم وحوا ذلك
عند هبوطهما من الجنة استعظاما لما وقع منهما وان لم يكن
في نفسه عظيما على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات
واستحقار العظيم من الحسنات فكان عاقبتهما ان رحم الله
قلبهما وتاب سبحانه عليهما ولنا بهما اقتداء وقال الحسن ظلمنا
انفسنا بالاشتغال بغير الله قلت ولهذا ساق الشيخ رضي
الله عنه الاية هنا مشيرا الى معنى انا اشتغلنا باحوال الدنيا
وتركنا الاقبال على خالقنا وقال ابن عطاء معنى ظلمنا انفسنا
باشتغالنا بالجنة وطلبها منك قال النسبا في خطرات الانبيا
تؤديهم الى المكرمات والرتب كما ادى ادم ما صدر منه الى الاجتباء
والاصطفا وخواطر الاولياء تؤديهم الى المكرمات وذنوب

العامة

العامة تؤديهم الى الاهانة فنحن احمد بتلاوة هذه الاية الليل
والنهار اذ لسنا من اهل الرتب والكرامات بل من اهل البعد والا هانات
يا الله يا الله يا الله اي يا جامعا لصفات الالوهية يا منعوتا
بنعوت الربوبية يا منفردا بالوجود الحقيقي جعل هذا الاسم الاعظم
مكررا بارادة هذه المعاني المذكورة عقب الاية الكريمة ليجمع بين
اعترافه بذنبه وتحققه باوصاف ربه فيكون ادعى لقبول دعائه
يا رحمن يا مفيض الخير على المحتاجين او مريده لهم عنايته بهم على ان
الرحمة صفة فعل او ذات يا قيوم يا من لا يتصور وجود شيء ولا
قوامه الا به فهو الذي يقوم بنفسه ويقوم به كل ما سواه على
جهة الافتقار اليه في الذات واللوازم فهو وصف له تعالى باقتضا ر
وجود الكل به يا من هو هو هو من موصوله وهو الاول مبتدا
والثاني خبره والثالث توكيد والجملة صلة الموصول اي يا من
لا يتبدل ولا يتغير وجودا ولا حالا يا هو اي يا من لا يمكن ان
يشار اليه لجلالته وعظمته فكان قايل يا هو يقول من انا
حتى اعرفك من انا حتى اكون مخاطبا لك وما للتراب ورب
الارباب واين المناسبة بين المتولد عن النطفة والدم وبين
الموصوف بالازلية والقدم فانت اعلى من جميع المناسبات
وانت مقدس عن علايق العقول والخيالات فلهذا خاطبه
العباد بخطاب الغايبين فقالوا يا هو اذ لا يسبق الى قلوبهم
غير ذكر الحق فلا يحتاج اذ ذاك الى بيانه له لاستهلاكهم في حقا بق
القرب باستيلاء ذكر الله على اسرارهم وانحجابهم عن شهوا هدهم

فضلا عن احساسهم بمن سواه وقد ذكر المحشي فيما تقدم ان
الاشارة بهو مختصة باهل الاستغراق والتحقق في الهوية
الحقيقية فلا نطباق بحر الاحدية عليهم وانكشاف الوجود
الحقيقي لديهم فقدوا من يشار اليه بهو الا هو لان المشار
اليه لما كان ولحدا كانت الاشارة المطلقة لا تكون الا اليه لفقد
ما سواه في شعورهم لغيابهم عن الرسوم البشرية بالكلية
وغيبتهم عن وجودهم وعن احساسهم باوصافهم
الكونية وذلك غاية في التوحيد والاعظام هذا مقتضى
حال القوم من وجدانهم وذوقهم فهو عندهم اسم مستقل
بمعناه لا ضمير غيبة كما هو موضوعه في اصله بل نقل وصار
العرف عندهم في اطلاقه على الله كاطلاق ساير الاسما
الظواهر ولذا ساغ نداؤه وادخال يا عليه وليس هو عند هم
ضمير غيبة حتى يعترض بانه لم يسمع في كلام العرب الا ندا
ضمير الخطاب على خلاف فيه حتى قال ابو حيان في شرح
التسهيل فكلام جهلة الصوفية في قولهم ياهو ويا انا
ليس جاريا على كلام العرب وذلك بناء منه على انه ضمير
غيبة في كلامهم لجهله بحالهم ومقاصدهم وقد قيل
لا تجعلوا لاهل الظاهر حجة على اهل الباطن فمن نسبهم الى الجهل
فهو احق به لانه قد كذب بما لم يحط به علما ولا تقف
ما ليس لك به علم انتهى ان لم تكن معشر العصاة المذ بنين
لو رحمتك اهلا ان تنالنا لبعدنا بسبب المعاصي وارتكاب

المنا

المناكر فرحمتك اهل ان تنالنا لسعتها واعدادها للمومنين
وعدم قصرها على المطيعين المحسنين ان لم يكن لنا وصف الا ستحقاف
لنيل الرحمة من اجل النقص الذاتي لنا فرحمتك اهلية لانا له
لاطلاقها وعدم تقييدها والحاصل ان عدم الاهلية كما هو
ذاتي في العبد لنقصه فكذلك اهلية الرحمة للانالة المطلقة
وصف ذاتي لكماله تعالى وغناه على الاطلاق يا رباه يا مولاه
الفهما بدل من لام الاستغاثة والها للسكت واصلها السكون
وحركت لمناسبة ضمير يا مغيث من عصاه المغيث المفرج
لكرب المكروبين واغاثة العاصي ايذان بانه الطايع اولى بذلك
لما عهد من كامل كرم الله وفي نوادر الاصول بسنده الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صوت احب الى
الله من صوت عبد لهفان قالوا يا رسول الله ما اللهفان
قال عبد اصاب ذنبا فكلما ذكر ذنبه امتلا قلبه فرقا من الله
فقال يا رباه قال الحكيم هذا تذلل توجع وحرقة كذا يعرفه
اهل اللغة فانهم اذا ارادوا ان ينادوا بتوجع وصلوا
المنادى بمدة وهاء فقالوا يا فلاناه ليبرز التوجع في المدة
وتكون الها معتمدا يسكت عليه فتكون المدة امتدادا واسفا
انتهى قال المحشي فانظر كيف صرح بانه تذلل توجع فيكون
هذا من باب الندبة لانها تذلل متفجع عليه او متوجع منه
والمتوجع منه اما لكونه محل الم كقوله فواكبدي من حب
من لا يحبني واما لكونه بسبب الم كواصيبتاه او وازر بتاه

ومن هذا يارباه لانه نداء اشفاق وخوف من المنادي ان يعذبه بذنوبه
ويواخذه بها اغثنا اغثنا اغثنا كرر للتأكيد يارب اي يامن هو ما لك
ومن شان المالك اغاثة المملوك وهو بضم الباء على انه منحرف
بالقصد والاقبال فيفيد الربوبية المطلقة العامة لا على معنى
الاضافة حتى يقتضي اختصاص الربوبية بالمتكلم لانه مع الاطلاق
ابلغ وامدح ياكريم ومن شان الكريم ان لا يضيع من لاذ به
والتجاء اليه وارحمنا اي وبعد اغاثتك لنا افض علينا من بركاتك
يابر يارحيم اي يا بارا بخلقه اقض حوائجنا ويا محسن احسن
الينا فكانه يقول طلبنا ما هو معهود منك كما يقتضي ذلك
اتصافك بالصفات الدالة على افاضة احسانك على خلقك
وقضائك حوائجهم وايصال الخير اليهم تفضلا منك يامن
وسع كرسيه السموات والارض ولا يوده حفظهما وهو العلي
العظيم لما ناداه بما تقتضيه كثرة احسانه عقبه بما يقتضي
سعة ملكه وعظمة سلطانه وتقدم معنى الاية وفي ابن
الصباغ بعد ذكره قصة الشيخ رضي الله عنه مع سلطان تونس
وما وقع له معه على يد ابن البراء رضي الله عنه فهممت ان
ادعو على السلطان فقيل لي ان الله لا يرضى لك ان تدعو
بالجزع من مخلوق فالهمت ان اقول يامن وسع كرسيه السموات
والارض الى قوله الاية تدبر وكيف وصف ربه تعالى بغاية
الحفظ الذي لا ينبغي الا له قال طالبا ومتوسلا اسالك
الايمان بحفظك لاوليائك وليس هذا سوالا لتحصيل

التصديق

التصديق بالحفظ ولا لمطلق الايمان لان ذلك حاصل لقوله
السابق فقد اعطيتنا الايمان من قبل ان نسالك والا كان
سواله سوال ما هو حاصل بل هو سوال ايمان مخصوص
بقوله ايمانا يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق
وتوسل في ذلك بحفظه الذي حفظ به الكرسي والسموات
والارض فالباء في بحفظك للقسم اي التوسل والتشفع
فان قيل قد سال هذا النوع بقوله السابق وهب لنا حقيقة
الايمان بك حتى لا نخاف غيرك الخ ومن وهب هذه الحقيقة
سكن قلبه من هم الرزق وخوف الخلق قلنا انما سال
هنالك الحقيقة وهنا سال يقين الايمان واقرب مني قرب
كشف وعيان من غير كيف ولا اين ولا تنزل ولا حلول كقوله
تعالى ثم دنى فتدلى وهو اشارة للتجلي الذي هو زوال
حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدا طبايع
البشرية والاية وان وردت في حق الرسول صلى الله عليه
وسلم لكن لورثته من الاولياء قسط من ذلك لانه من معنى
القرب والازدلاف الذي مرجع الولاية اليه وان كانت فيه
صلى الله عليه وسلم على وجه اتم واقرب قالوا والقرب
له بداية ونهاية ووسط فبدايته قرب علم وهو ان
تعلم ان الله قريب منك قرب تنزيه واحاطة وعلم
وقدرة ووسطه قرب تعظيم بحيث تحتقر كل الاقدار
سوى قدره وتنسى كل الاذكار سوى ذكره وغايته هو

القرب الحقيقي المقتضي لدوام الشهود الحاكم على القلب بابدية السجود
كقوله تعالى لنبيه عليه السلام الذي يراك حين تقوم وتقلبك
في الساجدين قال المفسرون لم يعط احد من حقيقة القرب
مثل محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك عُرِجَ في الاسرا بجسمه وروحه
ولا عبرة بقول قايل انه انما عرج بروحه فقط لان التصرف في الوجو د
يقتضي البدلية وقد نالها سائر الاوليا ببركته فكيف نصدق بها
في التابع وننكرها في المتبوع وكم من ولي شوهد في يوم واحد وسا عة
واحدة بالاسم والعين في مواضع متعددة وقال بعضهم من نال
القرب من الله فقد سجد قلبه لله ودخل حضرة قدسه ونال
المشاهدة والمعاينة والتحقيق والمعرفة والجمع وهو معنى القرب
الحقيقي ولذلك فضل المقربون على الابرار لانهم مجذوبون بالخلوة
سالكون بالقرب حتى قال صلى الله عليه وسلم حسنات
الابرار سيات المقربين وفي الحكم قربك منه ان تكون مشاهدا
لقربه والا فمن انت من قربه وفي مناجاة الهي ما اقربك مني
وما ابعدني منك ومن دعاء سيدي ابي العباس المرسي رضي
الله عنه يا قريبا انت القريب وانا البعيد قربك ايأسني من
غيرك وبعدي منك ردني للطلب منك فكن لي بفضلك حتى
تمحو طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز بقدرتك لصلاحيته
بالتعلق بتكوين ذلك قربا مني اي تزيل به عني كل حجاب
حتى اكون من الربانيين الذين هم اهل المشاهدة والمراقبة
والحضور مع رب العالمين والحجاب ما يمنع الوصول الى المطلوب

مشاهد القربه

كما

كما سبق وهو الذي محقه اي ازلته عن ابراهيم خليلك كانه يقول
اللهم اعل منزلتي واجزل كرامتي بحال المشاهدة التي لا يسع
القلب معها غير الله كما فعلت ذلك بابراهيم عليه السلام فلم
يجنح لجبريل رسولك ولا لسواك منك فانه عليه السلام حين
القي وهو مكتف مربوط في كفة المنجنيق عرض له جبريل بين
السما والارض وهو يهوي الى نار لم يتمكنوا من ايصاله اليها الا بكفة
المنجنيق من شدة حرها فقال عليه السلام الك حاجة قال اما
اليك فلا واما الى ربي فبلى فقال سله فقال علمه بحالي يغني
عن سوالي فرفع عليه السلام همته عن الخلق ووجهها الى
الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السوال من الله
بل راى ربه اقرب اليه فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وانعم
عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله فغابت نفسه
في الله فلم ير مع الله غيره لغنايه عن غيره فاوما الشيخ رضي
الله عنه الى ان سبب استغنا ابراهيم عن غير الله وعن السوال
هو محق الحجاب بكشف الغطا والعلم بالحاجة والافتقار سيما
في هذا الحال وانه لم يغب عنه تعالى من امر عبده شي حتى لم
يبق وجه للسوال وكانه عليه السلام لم يفهم اذنا من الله
في دعايه حينيذ وان كان الدعا عبادة قال بعض العارفين
ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود
القيومية واحاطة الديمومية ومن رفع الله عنه الحجاب فني عن
نفسه وارادته وبقي بربه وكان عبد الله حقا وقد سئل

ابو سعيد ابن الاعرابي عن الفناء فقال الفناء ان تبدو العظمة والاجلال علي
العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار
وتغنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنايه عن الاشياء
قالوا والفناء علي ثلاثة اوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا
الله وفناء في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا
بصير ولا متكلم الا الله وفناء في الذات لا موجود علي الاطلاق الا
الله وفي الحكم ربما دلهم الادب علي ترك الطلب اعتمادا علي قسمته
واشتغالا بذكره عن مسئلته انما يذكر من يغفل وانما ينبه
من يجوز عليه الاهمال وحجبته بذلك اي المحق للحجاب عن نار
عدو فكان محق الحجاب عنه حجابا عن عدوه ونار عدوه اعم من
نار نمروذ ومن كل نار حسية او معنوية ويؤيد العموم قوله
وكيف لا يحجب عن مضرة الاعدا واذايتهم باي نار من غيبته
عن منفعة الاحباء بعدم التوكل عليهم والاعتماد علي منفعتهم
ونصرتهم وقد كانت تعينت للخليل مضرة نمروذ لابراهيم
ومع ذلك لم يلجاء عليه السلام لغير ربه ولا جنح في طلب
النصرة والمنفعة لاحد ممن يعتقد انه من حزبه اذ غلبت فيه بيان حزبه
حالة الاضطرار علي حالة الاختيار فلم يخطر بباله سوي الله
وحسن تدبيره له حتي صار له الجحيم بردا وسلاما والعذاب
عذبا وذلك من كمال الادب مع الله تعالي وتمام حقيقة توكله
عليه سكونا لوعده واستسلاما لامره مكتفيا بعلمه راضيا بما
جري به حكمه علما منه بانه سبحانه تعالي عن ان يكون في ملكه

ما لابرهيم قيل لابراهيم الخواص رضي الله عنه حدثنا باعجب ما رايت
في اسفارك قال لقيني الخضر فسالني الصحبة فخشيت ان يفسد
علي توكلي لسكوني اليه ففارقته اي حفظا لمقام التوكل واعلم ان
الخواص لما لقي الخضر امتحنه الله به في مقام التوكل والا فالخضر مستغن
عن صحبته لكمال قوته كلا اي حقا وهو راجع لما قرره من قصة
ابراهيم ويحتمل ان كلا للاستفتاح بمعني الا الاستفتاحية
اني اسالك ان تغيبني عن منفعة الاحباء بقربك مني فاكونه
من اهل الحضرة المستغرقين في الشهود فانه من رفع الحجاب
عن عين قلبه فاضت عليه انوار القرب ورسته المراقبة للمشا هدة
واسلمته المشاهدة للمكاشفة والقته المكاشفة في المعاينة
وطرحته المعاينة في المسامرة والمحادثة والمكالمة وصار الحق
ابدا جليسه وانيسه وهذا معني القرب للعبد بعد البعد من خرق
جميع الحجب ومرجعه لمعني التخلق باذيال العظمة الالهية والا نصاف
باوصاف العز والكرامة وفيه سجود القلب بين يدي الرب
قال تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم واسجد واقترب اي
اسجد بجسمك واقترب بقلبك وبهذا القرب تصح الولاية للعبد
والمعرفة والخصوصية وهو يقتضي العناية والكرامة لان عبد
العزيز عزيز ومملوك العظيم عظيم وقيل حقيقة القرب الغيبة
عن القرب في القرب كما ان حقيقة الحب الغيبة عن الحب بمشا هدة
المحبوب وللقرب علامات ظاهرة وباطنة فالظاهرة المسارعة
الي نوافل الخيرات والباطنة انفراد القلب مع الحق عن جميع

المخلوقات حتى لا ارى شيا غير الله ولا احس بقريب شي ولا ببعيد
عني لانه سال حال الخاصة من ارباب الحقايق وهم الذين غا بوا
عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يكن لهم شعور بهم ولا التفات
اليهم، وفنوا عن الاسباب برويه مسبب الاسباب، فلم يروها
فعلا ولا جعلا، وذلك من الفناء في التوحيد، والتحقق بالتجر يد
حتى بطلت في حقهم روية الاسباب، وزال عن مطمح نظرهم
كل ستر وحجاب، وفي مناجاة الحكم العطايية الهي حققني
بحقايق اهل القرب، واسلك بي مسالك اهل الجذب انك
على كل شي قدير جاء به لمناسبة ما هو فيه فان كل ذلك
من متعلقات القدرة الازلية افحسبتم انما خلقناكم عبثا
اي لا لحكمة وقد خلق الله سبحانه الخلق على اصناف كل لحكمة
فخلق الملايكة لخدمته وجعل لكل منهم مقاما معلوما
لقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي مقام للخدمة
وخلق الجماد للعبرة لقوله سبحانه وفي الارض آيات للموقنين
وخلق الانعام للمنفعة لقوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة وخلق العارفين للعبادة لقوله ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اي للرحمة وانكم
الينا لا ترجعون بالبنا للفاعل والمفعول لا بل لنتعبدكم بالا مر
والنهي فترجعوا الينا ونجازيكم على ذلك وما خلقت الجن والا نس
الا ليعبدون فتعالى الله عن العبث وغيره مما لا يليق الملك
الحق لا اله الا هو رب مالك العرش الكريم بالجر نعت للعرش

اي الكرسي على الله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان لا حجة
ولا بينة له به اي عليه وهو صفة كاشفة لا مفهوم لها فانما
حسابه جزاؤه عند ربه بان يدخله النار خالدا فيها ابدا
انه لا يفلح لا يسعد الكافرون وقل رب اغفر وارحم
المومنين في الرحمة زيادة على المغفرة اي استر قبايحنا واصفح
عنا والغفار الذي يظهر الجميل ويستر القبيح والذنوب
من جملة القبايح التي اخفيت في الدنيا ويتجاوز الله
سبحانه عن عقوبتها في الاخرة فالعفو هو الستر ومن
ستره تعالى على العبد ان جعل قبايح بدنه التي تستقبح
في العقول والاعين مستورة في باطنه مغطاة بجميل ظاهره
فكم بين ظاهر العبد وباطنه من النظافة والقذارة
وانت خير الراحمين اي افضل وارحم لان لك يا مولا نا
الرحمة التامة بافاضة الخير على المحتاجين وارادته لهم عناية بهم
وترحم المستحق وغيره هو الحي الذي احيى القلوب بعوايد انواره
وسواطع اشراق اسراره، والحي على الحقيقة المنفرد بالحياة الذاتية
الذي به حياة كل شيء لا اله الا هو اي لا موجود يساويه او يدا نيه
في ذاته او صفاته فادعوه اعبدوه مخلصين له الدين الطاعة
من الشرك والرياء والاخلاص ضد الرياء وسر الدعاء في الا خلاص
وسببه علم العبد باحتياجه اليه في العمل النافع له في دنياه
واخراه وثمرته السلامة من العقاب والعتاب وقيل
علو الدرجات في الجنة وحده افراد النية وتصفيتها من

ملاحظة الغير مع اخفاء العمل وترك ذكره وفي الرسالة القشيرية
هو افراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد وذلك ان يريد بطاعته التقرب
الى الله دون شي اخر من تصنع المخلوق او معنى من سائر المعاني
سوي التقرب به الى الله تعالى وذلك كما قال شارحها شيخ الاسلام
كان يريد بعبادته ثواب الاخرة واكرامه في الدنيا وسلامته من
افاتها واستعانته على امور دينه كما راي والده ليدعو له بالخير
او شيخه ليعينه على مقاصده الدينية فليس ذلك من الاخلاص
الكامل ثم قال فدرجات الاخلاص ثلاثة عليا ووسطى ودنيا
فالعليا ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته
والوسطى ان يعمل لثواب الاخرة والدنيا ان يعمل للاكرام
في الدنيا والسلامة من افاتها وما عدا الثلاث من الريا وان
تفاوتت افراده ويصح ان يقال الاخلاص تصفية العمل عن
ملاحظة المخلوقين بانه لا يلتفت العبد لا الى مدحهم ولا الى
ذمهم ولا الى ما في ايديهم ويقال الاخلاص التوقي عن ملاحظة
الاشخاص وعن الحسن قال سالت حذيفة عن الاخلاص
ما هو قال سالت جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص
ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سالت رب
العزة عن الاخلاص ما هو قال سر من سري استودعته
قلب من احببت من عبادي وكان من معنى الاحسان الذي
هو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك من حيث
لا تراه فهو توحيد وضده شرك وفي التنزيل ولا يشرك بعبادة

ربه

ربه احدا فالريا الشرك الاصغر والدين الاسلام الحمد لله رب العالمين
هذا متصل بما قبله قاله ابن عطية والزمخشري وتقديره ادعوه
مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس
من قال لا اله الا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل
ان يكون الحمد استيثنافا وهو جملة خبرية قصد بها الثنا على
الله تعالى بمضمونها من انه سبحانه مالك لجميع المحامد من
خلقه او مستحق لان يحمدوه ومعنى رب العالمين مالك جميع
الخلق من الانس والجن والملايكة والدواب وغيرهم وكل
منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى
غير ذلك وهو من العلامة لانه علامة على موجده ان الله
وملايكته يصلون اي يعطفون فالله يعطف برحمته وملايكة
يعطفون باستغفارهم على النبي محمد بن عبد الله المختص
بالنبوة الكلية المطلقة فلا يشاركه فيها ولا في حملها عليه
حمل اشتقاق احد بشهادة قول مولانا تعالى قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا فال في النبي للعهد الذهني
او الحضوري اي النبي الحاضر بين اظهر المخاطبين وعن ابي
عثمان الواعظ قال سمعت سهل بن محمد يقول هذا
التشريف الذي شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه
وسلم بقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية
اتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر الملايكة
بالسجود له لانه لا يجوز ان يكون الله مع الملايكة فيه

تشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تخصص بر الملايكة به عنه
وهي منقبة لم توجد لغيره فهي اعظم من سجود الملايكة
لادم الذي وقع وانقطع وقال ابو الليث السمرقندي اذا اردت
ان تعرف كون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل العباد
فانظر هذه الاية فان الله سبحانه امر عباده بساير العبادات
وصلى عليه بنفسه اولا وامر الملايكة بالصلاة عليه ثم امر
المومنين اشاره الى ما ذكرناه من الاقتدا والتخلق اي اذا كان
ربكم سبحانه يصلي عليه فتخلقوا انتم بذلك فصلوا عليه وفيه
ايذانه بجرازة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وفخامة امره
واستغنائه بصلاة الله وملايكته عليه عن صلاة غيرهم
الا تنصروه فقد نصره الله الاية ثم اختلف في معنى الصلاة
فقيل الرحمة والرضوان من الله تعالى والدعا والاستغفار
من الملايكة والناس وقيل صلاة الله مغفرته وصلاة
الملايكة استغفارهم وقيل من الله رحمة مقرونة ومن
الملايكة استغفار ومن الادميين دعا وكذا من الجن وذهب
جماعة الى ان معنى الصلاة واحد وهو العطف ثم هو من الله
رحمة ومن الملايكة استغفار ومن الادميين دعا واختاره
في المغني يا ايها الذين امنوا خطاب تشريف وتكريم لهذه
الامة بكرامة نبينا صلى الله عليه وسلم من حيث نودوا
باسم الايمان ونسب فعله اليهم واثبت لهم وقد نوديت الامم
الماضية في كتبها يا ايها المساكين وشتان ما بين الخطابين

والمراد

والمراد بهذا الخطاب ساير المومنين به المكلفين بالدخول في ملته من
الانس وغيرهم صلوا عليه هذا الامر فيه تشريف لهذه الامة
ايضا حيث اخبرهم انه يصلي هو وملايكته على نبيه ثم
امرهم بالمشاركة في ذلك والمساهمة فيصلون معهم عليه
صلى الله عليه وسلم والامر في الاية حمله العلما على الوجوب
وشذ ابن جرير العبري (١) فحمله على الاستحباب قال عياض
ولعله اراد ما زاد على المرة الواحدة والا فقد خالف الاجماع
لانعقاده على وجوبها في الجملة وسلموا تسليما حكم السلام
في الوجوب والاستحباب فيما زاد على الواجب حكم الصلاة
لاستوايهما في الامر بهما في الاية او المراد في التشهد ومعنى
السلام السلامة من النقايص والافات او السلام اسم له
تعالى اي الله حافظ عليك ومتولي لك او السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد وانما اكد السلام دون الصلاة لان
الاخبار بان الله وملايكته يصلون على النبي اغنى عنه
لدلالته على انه من الشرف بمكان سبحان ربك رب العزة
الغلبة عما يصفون بان لله ولدا نزه الله تعالى نفسه عما
وصفه به الكفار مما لا يليق به فانه حكى عنهم في هذه
السورة اقوال كثيرة شنيعة والعزة انه اراد بها عزة الله
فمعنى رب العزة ذو العزة واضافها اليه لاختصاصه بها او انه
اراد بها عزة الانبياء والمومنين فمعنى رب العزة مالكها
وخالقها ومن هذا قال محمد بن سحنون من حلف بعزة الله

(١) الطبري لا العبري

فان اراد صفة الله فهي يمين وان اراد العزة التي اعطاها عباده
فليست بيمين ثم ختم الشيخ رضي الله عنه حزبه بما ختم به
مولانا تعالى سورة والصافات من قوله وسلام على المرسلين
المبلغين عن الله التوحيد والشرائع والحمد لله رب العالمين
على نصرهم وهلاك الكافرين فاما السلام على المرسلين
فالمراد به التحية او السلامة من النقائص واما الحمد فيحتمل
ان يريد به الحمد على الاطلاق او على ما الهمه اليه من الادعية
السابقة او على تنزيه الله ونصرة الانبياء وغير ذلك

خاتمة نسال الله حسنها ينبغي للعبد في تلاوة
الايات القرآنية المجعولة في الاحزاب والاوراد والاذكار
مع اعتقاد انها قرآن ان ينوي اخذ امور احدها التبرك
بالقرآن لمعرفة قدره وعظمته ثانيها رجاء ان يكون له في مطلبه
مثل ما كان لمن نزلت فيه تلك الاية من الخير ثالثها التوسل
الى الله تعالى ففي الحديث احب الكلام الى الله القرآن وما
تقرب الى المتقربون بافضل من كلامي رابعها امتثال امر الله
تعالى في الالتجاء الى القرآن في كل امر دنيوي او اخروي
كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء لان هذه الاية متضمنة
للامر بالالتجاء الى الله فكانه تعالى قال فالتجئوا اليه فان
فيه جميع ما تحتاجون من امر دينكم ودنياكم وقال تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فاستشفوا
به من مرضكم الظاهر والباطن خامسها بيان السؤال

لمجانستها

لمجانستها للغرض المطلوب وان كان الله تعالى عالما به فهو سبحانه
يحب ان يسال فاذا قال العبد مثلا انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين فكانه
قال يا مولانا انت قلت ذلك فاجعل لنا مثل ذلك من
الحفظ والرحمة واذا قال صم بكم عمي فكانه قال اجعل لاعدائي
ومن اراد بي سوءا مثل ذلك ولنقس ما لم يقل فهكذا
ينبغي ان يكون حال العبد مع كتاب الله العزيز مع ما في ذلك
من الاستمساك بكتاب الله وانظر قوله صلى الله عليه
وسلم اللهم اشرح بالقرآن صدري ونور به قلبي واجعله
شفاء لهمي وذهابا لغمي وحزني واخلط بركته بلحومنا
وجلودنا ودمائنا ومع ما في ذلك من الاعتناء بكلام
المحبوب والتوسل به اليه في المطلوب حتى لا يكون له تعلق
الا به ولا غرض الا فيه ولا حاجة الا منه ولا مناجاة الا معه
ولا شوق الا اليه ولا وجد الا فيه ولا اخذ الا عنه ولا دفع
الا به ولا نفع الا منه ولا اتكال الا عليه

اليك رفعنا الامر يا من له الامر
فليس لنا زيد سواك ولا عمرو

هذا وقد روى البغوي عن علي رضي الله عنه من احب ان
يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه
من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين وقد تم ما اورده

وقد تم بحمد الله الوهاب الفتاح العليم . والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم . وعلى آله
وأصحابه أولي المجد والكرم الجسيم . تم هذا المجموع
يوم الأحد المبارك لثلاث وعشرين خلت من شهر ذي الحجة
ختام سنة ١١٨٨ ثمانية وثمانين ومائة وألف من هجرة
من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه على
يد جامعه الذي أملاه وأمر بكتبه الفقير سليمان الجمل غفر الله
له ذنوبه وستر عيوبه وختم له بالحسنى ولمحبيه
ولكافة المسلمين أجمعين . بقلم الفقير إليه سبحانه وتعالى
محمد الليبي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات الأحياء منهم
والأموات آمين
آمين
م

إن تجد عيبا فسد الخللا . جل من لا فيه عيب وعلا

قد من الله تعالى على عبده الفقير الشيخ صالح محمد ابن المرحوم
الشيخ محمد يحيى الشافعي مذهبا الخلوتي البكري طريقة والشاذلي
اجازة بمطالعة هذا الكتاب وكان ذلك في ذي القعدة الحرام
في شهر [illegible] ١٢١٩ هجريه [illegible]